الفصل السادس

تحليل محتوى
الكتب الدراسية في إسرائيل

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـة

تؤدي المناهج والمقررات الدراسية الدور الأكبر في صياغة ذهن الطالب، وتعمل بدرجة كبيرة في تحديد كيفية تعامله مع مجتمعه ونوعية تعاطيه مع المجتمعات المحيطة به؛ وذلك من خلال الصور النمطية التي غرست في عقله ووجدانه خلال المراحل التعليمية المختلفة. ويهدف هذا الجزء من البحث إلى التعرف على صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية في الكيان الإسرائيلي وكيفية إسهامها في تكوين صورة نمطية عن العرب والمسلمين.

إن المتتبع للمقررات والمناهج التعليمية في إسـرائيل، يلمس بسـهولة طبيعة القيم التربوية المنشودة والتوجيه الهادف. وترمي مضامين هذه المقـررات والمناهج التعليمية إلى تحقيق أهدافها من خلال زرع وتجذير مفاهيـم وأطـر فلسـفة التربية اليهوديـة والصـهيونية التي وضـعتها المؤسسات التربوية الإسرائيلية قبل عام 1948م وبعده حتى صدور قانون التعليم الأساسـي عام 1953م، المرتكز على وثيقة الاستقلال التي أعلن

obeikandl.com

بموجبها قيام الدولة العبرية. وكان الهدف من وراء ذلك تكوين صورة نمطية في أذهان الطلاب الإسرائيليين عن العرب والمسلمين، وتنفيذ المشروع الاستيطاني على أرض فلسطين. وقد عكست هذه الصورة فهماً خاطئاً ومشوهاً للإسلام ومبادئه، وخلطاً بين قواعد الدين وسلوك المسلمين، وترسيخ أحقية اليهود في فلسطين (أرض إسرائيل) بما لا يقبل الشك، من خلال التوغل في التاريخ لإثبات السيادة السياسية لليهود عليها.

تم استعراض41 كتاباً مقرراً دراسياً للمراحل التعليمية المختلفة في الكيان الإسرائيلي. تم تحديد23 كتاباً لتحليلها بحيث تشمل أقسام: أدب الأطفال، التربية الدينية، العلوم الاجتماعية والعلوم اللغوية، وذلك وفق منهجية الدراسة المحددة مسبقاً باستخدام منهجين: تحليل المحتوى و تحليل الخطاب، وبعد فحص هذه الكتب تم تقسيمها إلى قسمين : القسم الأول من الكتب تم الرجوع إليها ووظفت معلوماتها في عمليات تحليل المضمون والخطابات بأسلوب مباشر والقسم الآخر من الكتب تم الرجوع إليها ووظفت بعض معلوماتها في عمليات تحليل المضمون والخطاب بأسلوب غير مباشر.

هذه الكتب وجدنا أن العرب والمسلمين تم الإشارة إليهم في 23 كتاباً وهي التي خضعت للتحليل والدراسة.

وسوف يتم عرض نتائج الدراسة وتحليلها وفقاً للمحاور التي بنيت في ضوء أداة الدراسة، وهذه المحاور هي:

أولاً: البعد الإسلامي

ثانياً: البعد القومي

ثالثاً: البعد الصهيوني

رابعاً: البعد السياسي

خامساً: نظرة عامة على الكتب الدراسية الإسرائيلية

وفيما يأتي سنقوم في هذا الفصل بعرض نتائج الدراسة وتحليل عناصرها والربط بينها بهدف تحديد معالم صورة العرب والمسلمين الموجودة في القيم التربوية التعليمية في المناهج الدراسية للكيان الإسرائيلي وتلمس العوامل التي تؤثر في تكوينها.

البعد الإسلامي في الكتب الدراسية

الدين:

ربطت المناهج الدراسية في إسرائيل بين الدين الإسلامي والعنف، فربطت بينه وبين السيف، مؤكدة أن انتشاره تم بالسيف. فأورد كتاب (**מדור לדור: שיעורים בהיסטוריה**، 1994 من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في الصفحة 214 في عنوان جانبي يتحدث عن بداية انتشار الدين الإسلامي النص الآتي: «**דת האיסלאם، דת החרב**» (**עמ**، 214) ويعني (دين الإسلام، دين السيف). ويغرس الكتاب في ذهن الطالب تقسيم المسلمين للعالم إلى مؤمنين وكفار، من خلال التوجه إلى الطالب في صفحة 215 بسؤال: «**מיהם המאמנים ומיהם הכופרים?**» (**עמ**، 215) (من هم المؤمنون ومن هم الكفار؟)، ثم يورد له نصاً يؤكد له فيه على هذا التقسيم: «**המוסלמים חילקו את**

obeikandl.com

אוכלוסיית העולם לשתי קבוצות: <**דאר** (**איזור**) **אלאסלאם**، **וד،אר אלחרב**، (**החרב**)) (**עמ** ،215) (قسم المسلمون سكان العالم إلى مجموعتين: الأولى دار الإسلام، والثانية دار الخراب). وهذا التقسيم يتفق في الحقيقة مع تقسيم اليهودية للبشر إلى جماعتين لا ثالث لهما: الأولى اليهود والثانية غير اليهود، أي الأغيار، الذين تعبر عنه العبرية بلفظة «**גויים**» (جوييم).

وتتحدث بعض هذه الكتب الدراسية عن أن سيدنا محمداً – صلى الله عليه وسلم – هو الذي فرض الدين الإسلامي، فأورد كتاب (**מסע אל העבר: מימי הביניים ועד העת החדשה**، 1997 رحلة إلى الماضي: من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، 1997م) في صفحة 13 «**משהתחזק כוחו של מוחמד، הוא כפה את האיסלאם על בני השבטים בחצי האי הרב**» (**עמ**،13) (فرض محمد الإسلام على قبائل شبه الجزيرة العربية بعد ما قويت شوكته). ويؤكد الكتاب على هذا المفهوم نفسه في صفحة 20 فيقول: «**בית، רב הצטרפו אל מוחמד עוד ועוד וכאשר גבר כוחם הם יצאו להילחם בשבטים בחצי האי ערב וכפו עליהם את האיסלם**» (**עמ**، 20). (انضم إلى محمد في يثرب المزيد وحينما تزايدت قوتهم حاربوا القبائل في شبه الجزيرة العربية وفرضوا عليها الإسلام).

وتأكيداً على الربط بين الدين الإسلامي والعنف استخدمت كلمة «الفتوحات الإسلامية» للدلالة على أن هناك احتلالاً إسلامياً فوصف العرب بالمحتلين، والفتوحات الإسلامية بمثابة اجتياح عسكري هدفه

الاحتلال. كما أكّد كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) على التصور ذاته في صفحة 210: «**הצבא הערבי בהנהגת הח'ליפים כבש את עירק, פרס, ארמניה, סוריה וארץ ישראל. הח'ליפים כבשו גם את מצרים ואת יתר ארצות צפון אפריקה**» (**עמ**، 210) (احتل الجيش العربي بقيادة الخلفاء العراق وفارس وأرمينيا وسوريا وأرض إسرائيل. ثم احتل الخلفاء أيضاً مصر وبقية دول شمال أفريقيا).

ويقدم الكتاب نفسه في صفحة 210 الإسلام على أنه سبب مشاكل كثيرة للعرب في الجزيرة العربية: «**האמונה החדשה הקשתה על חיי התושבים במדבר**» (**עמ**، 210). (جعلت العقيدة الجديدة من حياة المقيمين في الصحراء صعبة).

تبين من الاقتباسات السابقة أن المناهج الدراسية في إسرائيل تربط بين الدين الإسلامي والعنف من خلال الربط بين الدين الإسلامي والسيف، والتأكيد على أن الإسلام يقسّم العالم إلى قسمين لا ثالث لهما: مؤمنين وكفار، المسلمون هم المؤمنون وغيرهم كفار. ويتأكد مفهوم العنف من خلال اعتبار الفتوحات الإسلامية أعمال غزو واحتلال. وهكذا يتضح أن هذه المناهج الدراسية تحاول دائماً وصف الدين الإسلامي بصفات تتفق ورؤية اليهود للإسلام والمسلمين، فتعمل على ترسيخ فكرة أن الدين الإسلامي عبارة عن سيف وحرب وقتال وعنف، لتعكس فهماً خاطئاً للإسلام ومبادئه.

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

تعكس المناهج الدراسية في إسرائيل عدم الاعتراف بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وبأنه ليس رسولاً مرسلاً من الله العلي العظيم، وحسب الصورة التي تقدم في الكتب فإن محمداً من ذاته ادّعى أن الله اختاره نبياً، وأنه قرر من ذات نفسه أن يصبح رسولاً، ولم يوصف النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – كما يوصف موسى والسيد المسيح أحياناً بالنبوة ، فيذكر باسمه (محمد) فقط دون تقدير لمكانة النبوة.

وتورد العديد من هذه المناهج الدراسية اسم محمد غير مسبوق أو متبوع بلفظة تقدير تتفق ومكانته كنبي ورسول. ففي كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) نجد ما يتعلق بذكر النبي – محمد صلى الله عليه وسلم – على النحو الآتي: فقد ورد في الصفحة 13 «**תושבי מכה התנגדו למוחמד**» (**עמ'** 13). (سكان مكة عارضوا محمدا). وفي الصفحة ذاتها: «**ברחו מוחמד ומאמיניו**» (**עמ'** 13) (هرب محمد والمؤمنون به)، وفي صفحة 28: «**הח>ליפים – יורשי מוחמד**» (**עמ'** 28) (الخلفاء – ورثة محمد).

وتكشف الاقتباسات السابقة أن محمداً لا يُنظر إليه على أنه نبي، فهو الذي أسس هذا الدين وعمل على نشره، فيورد كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) في صفحة 20 ما يشير إلى أن (النبي) محمداً هو مؤسس الدين الإسلامي. «**היה מייסד דת האיסלאם**» (**עמ'** 20) (كان محمد مؤسس دين الإسلام). وكذلك في (سلسلة كتب «وسائل النجاح» التعبير والفهم، 2002) ورد

في الصفحة 66 ضمن نص دراسي بعنوان «محمد مؤسس الإسلام» أن: «محمداً أحد سكان مدينة مكة، ادّعى أن الله تجلى له. وعلى أثر هذا التجلي الإلهي دعا محمد سكان مدينة مكة للإيمان بالله كإله واحد، وعارض سكان مكة محمداً؛ لأنهم كانوا يخشون من إلحاق الأذى بمصدر رزقهم، إذا توقفت عبادتهم حول الكعبة في مكة، التي كانت تستخدم مكاناً لعبادة الأصنام من قِبل سكان شبه الجزيرة العربية. وخوفاً على حياته هرب محمد مع عائلته إلى يثرب، وهناك تقبل المواطنون عقيدة الإسلام. هذا الهروب أطلق عليه اسم الهجرة، وبداية التقويم عند المسلمين الذي كان عام 622م عندما كان محمد في الخمسين من عمره. منذ تلك اللحظة انتشرت عقيدة محمد فوق أرض شبه الجزيرة العربية. ونجح محمد في تجميع وتوحيد المسلمين في إطار طائفة واحدة، وذلك من خلال قدرته على الإقناع تارة وطريق القوة تارة أخرى. وهكذا أسس محمد الأمة وحظر عليهم محاربة بعضهم بعضاً. وبالمقابل طلب محمد من المؤمنين به الانطلاق بحملات احتلال في العالم من أجل نشر الإسلام في العالم بأسره».

ولكي تدلل بعض هذه الكتب على مزاعمها السابقة تردد أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام قد تأثر باليهود والنصارى، وتعلم منهم. فيشير كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في الصفحة 198 أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) تأثر أثناء رحلاته التجارية إلى بلاد الشام بمعتقدات التوحيد والإيمان لدى اليهود والنصارى، فقال: «**עם שיירות המסחר הגיע מוחמד לארצות אחרות, בהן גם סוריה וארץ ישראל. במסעות אלה הוא נפגש עם בני עמים**

שונים ובני דתות שונות. מוחמד התרשם מאורחות חייהם וממנהגיהם ובייחוד מן האמונה באל אחד, שנפוצה אצל היהודים והנוצרים» (**עמ**، 198) (وصل محمد مع القوافل التجارية إلى بلاد أخرى، منها سوريا وأرض إسرائيل. وخلال هذه الرحلات التقى بأبناء شعوب عدة، وديانات أخرى، وقد أعجب محمد بطريقة حياتهم وعاداتهم، وخاصة عقيدة الله الواحد، السائدة لدى اليهود والمسيحيين). ونجد الفكرة ذاتها في كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، 1997م) في صفحة 20 «**הוא עסק במסחר ויצא למסעות במקומות שונים. במסעותיו פגש יהודים ונוצרים, שמע מהם על אמונותיהם והכיר את מנהגיהם. בהיותו כבן 40, כשהתבודד כהרגלו בהרים, התגלה אליו – על-פי עדותו – המלאך גבריאל.**» (**עמ**،20) (عمل محمد بالتجارة، وخرج في رحلات لأماكن كثيرة. وفي رحلاته التقى اليهود والنصارى، سمع عن معتقداتهم وتعرف على عاداتهم. وببلوغه الأربعين حينما انعزل كعادته في الجبال – حسب شهادته – تجلى له الملاك جبريل).

وتقدم بعض المناهج الدراسية في إسرائيل الهجرة النبوية الشريفة على أنها «**ברִיחה**» (هروب). ففي كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) نجد في صفحة 13: «**ברחו מוחמד ומאמיניו**»(**עמ**، 13) (هرب محمد والمؤمنون به). وقد عرض كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) صورة للرسول – صلى الله عليه وسلم – في صفحة 206 جاء تحتها: «**הבריחה ממכה לית, רב**» (**עמ**، 206) (الهروب من مكة إلى يثرب). وأورد

الكتاب نفسه في الصفحة 205: «**בריחת מוחמד נקראת היג>רה, ושנת ההיג>רה, 622 לספירה, היא השנה הראשונה לספירת השנים של המוסלמים**» (**עמ**، 205) (يسمى هروب محمد هجرة، وعام الهجرة، 622م، هو العام الأول لتقويم المسلمين).

تطرقت بعض الكتب الدراسية في إسرائيل إلى معجزة الإسراء والمعراج، فقدمتها على أنها أسطورة خرافية يؤمن بها المسلمون. فيعتبرها كتاب (القدس والضفة الغربية، 1994م) في صفحة 23 مجرد أسطورة ابتدعها الإسلام ورسوله: «**ואילו המוסלמים בנו עח הר הבית את כיפת הסלע ואת מסגד אל-אקצא. האגדה מספרת כי מוחמד ביקר בירושלים כשהוא רכוב על גב סוסו האביר «אל-בוראק», ולפיכך נודעה לעיר בעיני מאמיניו יתר חשיבות וקדושה**» (**עמ**، 23). (لقد بنى المسلمون على جبل الهيكل قبة الصخرة ومسجد الأقصى. وتحكي الأسطورة أن محمداً زار القدس راكباً على حصانه «البراق»، لذا تحظى هذه المدينة بمزيد من الأهمية والقداسة لدى المؤمنين به).

ولتأكيد الموقف من معجزة الإسراء والمعراج على أنها أسطورة يعرض كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) في صفحة 20 صورة تجسد رحلة الإسراء والمعراج، يكتب تحتها تعليقا في شكل سؤال موجه للطالب: «**מעל איזו עיר <טס> מוחמד? כיצד זיהיתם אותה?**» (**עמ**، 20) (من أي مدينة «طار» محمد؟ كيف تعرفتم عليها؟). ونجد الصورة ذاتها في صفحة 203

من كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) وكتب تحتها: «**עלייתו של מוחמד על גב סוסתו. שימו לב למלאכים שמסביבו ולכעבה שמתחתיו**» (**עמ**، 203) (صعود محمد على ظهر مهرته. انتبهوا إلى الملائكة التي حوله والكعبة التي أسفله).

وقدمت بعض هذه المناهج صوراً للنبي محمد في مواقف عدة، بعضها قدمه في شكل لا يليق بمكانة الأنبياء. فقد عرض كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) عدة صور للرسول صلى الله عليه وسلم. ففي صفحة 199 نجد صورة جاء تحتها: «**התגלות המלאך אל מוחמד. שימו לב שהמוסלמים אינם מציירים את תווי פניהן של הדמויות הקדושות. קדוש מוסלמי מופיע אפוף שלהבת אש**» (**עמ**، 199) تجلى الملاك إلى محمد. (انتبهوا فالمسلمون لا يصورون ملامح وجه الشخصيات المقدسة، فالقديس المسلم يظهر محاطاً بهالة من النار). وفي صفحة 207 يعرض الكتاب نفسه ثلاث صور للنبي محمد. الأولى كتب تحتها «**הבריחה ממכה לית،רב**» (**עמ**، 206) (الهروب من مكة إلى يثرب)، والثانية كتب تحتها «**מוחמד מטיף למאמינים להילחם נגד סוחרי מכה**» (**עמ**، 206) (محمد يخطب في المؤمنين لمحاربة تجار مكة)، والثالثة كتب تحتها: «**תושבי מכה משליכים אבנים במוחמד**» (**עמ**، 206) (سكان مكة يلقون محمداً بالأحجار). ويعرض الكتاب نفسه في صفحة 207 صورة أخرى كتب تحتها: «**נישואי מוחמד עם חדיג، ה**» (**עמ**، 207) (زواج محمد من خديجة). ويورد الكتاب في صفحة 212 صورة أخرى جاء تحتها: «**מוחמד מועדד את הלוחמים. ציור מתוך כתב יד פרסי**،

obeikandl.com

המאה ה-16 לספירה» (**עמ**، 212) (محمد يشجع المحاربين. صورة لمخطوط فارسي يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي).

من الملاحظ مما ورد في هذه المناهج الدراسية في إسرائيل أنها تهدف إلى زرع صورة معينة في ذهن الطالب اليهودي بغية تثبيت حقيقة عمل عليها اليهود منذ بعثة الرسول - محمد صلى الله عليه وسلم - وهي عدم الاعتراف بأن محمداً نبي ورسول، وبأن الإسلام ما هو إلا أفكار ومفاهيم أخذها محمد (صلى الله عليه وسلم) من اليهود والنصارى وقدمها للعرب في صورة تناسبهم.

النظرة إلى القرآن:

كشفت المناهج الدراسية في إسرائيل عن الكثير من القيم التربوية التي تهدف إلى ترسيخ أفكار تتعلق بعدم قدسية القرآن الكريم؛ لأنه من نسج خيال محمد (صلى الله عليه وسلم)، واعتماده في جزء كبير منه على ما ورد في الكتب الدينية اليهودية: العهد القديم والتلمود. ففي كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997) في الصفحة 24 ورد أن: «**ספר הקודש של המוסלמים הוא הקוראן ועל פיו מתנהלים חייהם. על פי המסורת המוסלמית הקוראן חובר בידי אללה והורד מן השמיים אל מוחמד קטעים-קטעים. מוחמד מסר את דברי אללה למאמיניו בצורת אימרות קצרות ואלה רשמו אותן על כפות תמרים, על פיסות עץ ועל עצמות**» (**עמ**، 24). (الكتاب المقدس للمسلمين هو القرآن، وتسير حياتهم حسبه. وحسب التراث الإسلامي فقد وضع الله القرآن ونزّل من السماء إلى محمد أجزاء. وقد أبلغ محمد كلام الله إلى المؤمنين

obeikandl.com

به في صورة مقولات صغيرة، التي دونوها على أوراق النخيل والقطع الخشبية والعظام».

ويربط كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في صفحة 201 بين لغة القرآن الكريم و لغة التوراة من حيث المنزلة الرفيعة والقدسية، من خلال إيجاد علاقة لغوية بين لفظ (القرآن) ولفظ **מִקְרָא** (مقرا) الذي يستخدم في اللغة العبرية للدلالة على التوراة، ومنه يقال: **מִקְרָאִי** (مقرائي) بمعنى توراتي، ليدلل على أن القرآن مستوحى من التوراة، وقد صاغ الكاتب ذلك في شكل سؤال موجه للتلميذ: «**המלה קוראן מזכירה את המלים העבריות הקראה ומקרא. מה אפשר ללמוד מכך?**» (**עמ**، 201) (كلمة قرآن تشير إلى الكلمات العبرية إقراء ومقرا. ماذا يمكن أن نتعلم من ذلك؟).

ويعرض الكتاب نفسه صورة إحدى آيات «القرآن الكريم» كتب تحتها: «**הקוראן הוא ספר הספרים של הערבים וכולל את כל הנבואות של מוחמד. הספר מחולק סורות (פרקים) הסורות הראשונות הן הארוכות והאחרונות הן הקצרות**» (**עמ**، 201) (القرآن هو كتاب الكتب لدى العرب ويضم داخله نبوءات محمد. ينقسم الكتاب إلى سور: السور الأولى طويلة والأخيرة قصيرة). ويشير كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997م) في الصفحة 24 إلى المفهوم ذاته: «**בקוראן 114 פרקים ובהם נאומי הנביא וחזיונותיו**» (**עמ**، 24) (في القرآن 114 سورة بها خطب النبي ونبوءاته). فالقرآن الكريم وفق تصور عدد من مناهج دراسية في إسرائيل عبارة عن كتاب يضم بين دفتيه عدداً من النبوءات والرؤى.

وفي إطار هذا التصور الخاطئ يشير الكتاب نفسه في صفحة 204 إلى أن محمداً أنزل القرآن من السماء بعد معجزة الإسراء والمعراج: «**על פי המסורת המוסלמית מוחמד עלה מירושלים לשמים והוריד משם את הקוראן**» (**עמ**، 204) (حسب التراث الإسلامي فقد صعد محمد من القدس إلى السماء وأنزل القرآن من هناك). في إشارة إلى دحض حقيقة أن القرآن وحي من الله ، بل إن محمداً صلى الله عليه وسلم – حسب هذا التصور – هو الذي منح هذا الكتاب للمسلمين. فيشير كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997) في الصفحة 13 إلى أن: «**מוחמד העניק למוסלמים ספר קודש בשפה הערבית: הקוראן**» (**עמ**، 13) (منح محمد المسلمين كتاباً مقدساً باللغة العربية: القرآن).

وتستخدم بعض المناهج الدراسية في إسرائيل المفردات الدينية اليهودية للتعبير عن المكونات والمفردات الإسلامية. فالقرآن يقدم على أنه توراة محمد. فيورد كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في صفحة 204: «**רוב תושבי אלמדינה קיבלו את הנהגתו של מוחמד ואת תורתו**» ((**עמ**، 204) (قبل معظم سكان المدينة زعامة محمد وتوراته). كما يقدم الكتاب نفسه القرآن في صفحة 218 على أنه «**התורה שבכתב**» (**עמ**، 218) (التوراة المكتوبة)، ويقدم الحديث النبوي والسنة الشريفة على أنها «**התורה שבעל-פה**» (**עמ**، 218) (التوراة الشفهية). وحول الأمر ذاته يشير كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997م) في الصفحة 24 إلى أن: «**הסונה היא מעין התורה שבעל-פה והיא**

משלימה את הקוראן» (**עמ**، 24) (السنة بمثابة التوراة الشفهية، فهي تكمل القرآن).

أركان الإسلام:

تشير المناهج التعليمية في إسرائيل إلى أن أركان الإسلام حددها أتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم تحدد من عند الله، وأن الرسول لم يُبلغ بها وإنما حددها أتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولتأكيد الصورة في ذهن الطالب بأن أركان الإسلام ليست من عند الله خلطت المناهج التعليمية في إسرائيل بين معتقدات الديانة اليهودية والديانة الإسلامية، من خلال ترديد فكرة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد تأثر باليهود والنصارى الذين قابلهم خلال رحلاته.

ويشير كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997م) في الصفحة 22 إلى أركان الإسلام بقوله: «**עם התפשטות דת האיסלאם הלכו והתגבשו מצוותיו. ובתקופה שלאחר מות מוחמד נקבעו חמש מצוות היסוד של האיסלאם. המכונות .עמודי האיסלאם.. מצוות אלה נהוגות גם בימינו**» (**עמ**، 22) (مع انتشار دين الإسلام أخذت تتبلور أركانه، وفي الفترة التي تلت موت محمد تحددت الأركان الأساسية الخمسة للإسلام، والتي يطلق عليها «أركان الإسلام» وهذه الأركان هي السائدة في عصرنا). وهذا الاقتباس يدلل على تصورهم الخاطئ بأن «الأركان الأساسية الخمسة للإسلام « قد تبلورت وتشكلت فيما بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وتسعى بعض هذه المناهج الدراسية إلى تشويه الشعائر الإسلامية الحالية بتسميتها بالعادات الوثنية القديمة التي أدخل عليها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – تعديلا طفيفاً. فعن الحج وشعائره يورد كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في صفحة 202 النص التالي: «**אבל במקום הטקסטים האליליים, שנערכו בכעבה, קבע מוחמד טקסט דתי חדש על פי האמונה החדשה**» (**עמ**، 202) (ولكن بدلاً من النصوص الوثنية، التي وضعت في الكعبة، أعد محمد نصاً دينياً جديداً يتفق والعقيدة الجديدة). وعن الموضوع نفسه يقول الكتاب نفسه في صفحة 205: «**מוחמד הבין, שקשה יהיה לבטל מסורת עתיקה של עלייה לכעבה, שהייתה רווחת בכל רחבי ערב. לכן מוחמד לא שינה את הטקסט האלילי הישן,רק יצק בו תכנים חדשים**» (**עמ**، 205) (أدرك محمد أنه سيكون من الصعب إلغاء عادة قديمة هي الحج التي كانت شائعة في أنحاء الجزيرة العربية؛ لذا لم يغير محمد الطقس الوثني القديم، وإن وضع فيه مضامين جديدة).

تكشف الاقتباسات السابقة، المباشرة وغير المباشرة، من مناهج التعليم في إسرائيل عن مغالطات عدة عن بعض أركان الإسلام ترمي إلى إنكار حقيقة أن الرسول محمداً – صلى الله عليه وسلم – قد أرسى بهذه الأركان دعائم العقيدة والعبادة، وأن هذه الأركان لا تختلف باختلاف العصور. وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مات بعد أن أتم رسالته على أكمل وجه.

الجهاد:

لا تفرق المناهج الدراسية بين مفهوم الجهاد في الإسلام والعنف، بل تحاول في بعض الأحيان تقديم الجهاد على أنه صورة من صور العنف والاحتلال. فقد جاء في كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في صفحة 214 النص الآتي: «**כיתות מסוימות באיסלאם סבורות, שהחובה להשתתף בג׳יהד היא אחת ממצוות היסוד של האיסלאם. לדעתם, מלחמת המצווה היא עמוד נוסף, שמצטרף אל חמשת עמודי האיסלאם. לפי כך מי שאינו יוצא למלחמת מצווה – חוטא**» (**עמ**، 214) (تعتقد فرق معينة في الإسلام أنه من الواجب المشاركة في الجهاد، الذي يعد من الوصايا الدينية الأساسية في الإسلام. والحرب الدينية تعد ركناً آخر يضاف إلى أركان الإسلام الخمسة؛ لذا فمن لا يخرج إلى هذه الحرب فهو مخطئ). ويورد الكتاب نفسه على لسان – محمد صلى الله عليه وسلم – بعض المفاهيم المغلوطة عن الجهاد في صفحة 210: «**מוחמד הכריז, שהמלחמה בכופרים היא ג׳יהאד, מלחמת מצווה, ולכן כל המשתתפים בה יזכו לגמול רב. לוחם שיצא חי מהמלימה יזכה בתהילה ובעושר ולוחם שימצא את מותו במלחמה יזכה בתואר שהיד ׳קדוש׳, כי הוא מת על קידוש השם**» (**עמ**، 210) (أعلن محمد أن محاربة الكفار هو الجهاد، الحرب المقدسة، ولذا سيحظى المشاركون فيها بثواب كبير. فالمحارب الذي سيخرج إلى الحرب سيحظى بالثناء والثراء، والمحارب الذي سيلقى حتفه في الحرب سيحظى بلقب شهيد (قديس)؛ لأنه مات في سبيل الرب). ويلاحظ من الاقتباس السابق استخدام تعبيرات

مستمدة من التراث الديني اليهودي والمسيحي في محاولة لفرضها على الدين الإسلامي، فنجد تعبيرات مثل «الحرب المقدسة»، و «قديس»، وحرصه على تقديم بعض الأسماء العربية داخل النص يعني خطأ أن هذه هي معانيها. فيقدم الجهاد على أنه «الحرب المقدسة»، و الشهيد على أنه «قديس».

الإرهاب:

حاولت بعض المناهج الدراسية في إسرائيل الربط بين الإسلام والمسلمين والعنف، ليكون تمهيداً لربطهما بالإرهاب. وقد تم ذلك من خلال تشويه مفهوم الجهاد من ناحية، وتقديم الفتوحات الإسلامية على أنها أعمال عنف تقترب من الإرهاب عن طريق الربط بين الدين الإسلامي والسيف، ورفض أعمال مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بعد وصفها بهذه الصفة.

وتقدم الفتوحات الإسلامية في كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ،1994م) في صفحة 210 على أنها تعبير عن روح العداء والعنف لدى العرب، فقد ورد فيها ما يلي: «**החליפים, ממלאי מקומו של מוחמד, כיוונו את יצרי המלחמה של הערבים כלפי הכופרים, שמחוץ לחצי האי הערבי. הם הובילו את הערבים למלחמה נגד תושבי ממלכה הפרסית ונגד הנוצרים, שישבו באימפריה הפיזנטית**» (**עמ**، 210). (وجه الخلفاء – نواب محمد – غرائز الحرب لدى العرب تجاه الكفار، الموجودين خارج الجزيرة العربية. فقد قادوا العرب إلى حرب ضد سكان المملكة الفارسية وضد المسيحيين، الذين قطنوا في الإمبراطورية البيزنطية).

وتحاول هذه المناهج إلصاق صفة العنف والإرهاب بالعرب والمسلمين بغض النظر عن الدوافع. فيطلق كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الثالث منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) في صفحة 264 على المقاومة الفلسطينية: «**איבת הקנאים הערבים**» (**עמ'**264) (كراهية المتطرفين العرب). ويورد الكتاب نفسه في صفحة 258 اقتباساً من مذكرات حاييم فايتسمان ليؤكد على الفكرة ذاتها: «**ערבים התאספו במסגד עומר, האזינו לנאומים נלהבים, יצאו בתהלוכה יוקדת באש קנאה, עברו ברחובות והתקיפו כל יהודי שנזדמן להם**» (**עמ'** 258) (تجمّع العرب في مسجد عمر، واستمعوا إلى خطب حماسية، وخرجوا في مسيرة غاضبة مليئة بالكراهية والحقد، سارت في الشوارع وهاجمت أي يهودي يقابلها). ومن السهولة بمكان أن نضع أيدينا على الربط بين العنف والكراهية والحقد والمسجد والخطب الدينية.

ونجد الكتاب نفسه يشير في صفحة 226 و267 «**אולם בשנת** 1929 **הרימו הערבים הקיצונים ראש ... ההתנפלויות נערכו בירושלים, בצפת, ובמקומות אחרות** « (**עמ'**266–267) (في عام 1929م رفع العرب المتطرفون رؤوسهم ... أعمال العنف وقعت في القدس وصفد وأماكن أخرى).

ثم يوجه الكتاب في صفحة 258 سؤالاً للتلميذ يساوي فيه بين ما حدث لليهود في روسيا وأحداث ثورة البراق الفلسطينية «**מה בין התנהגותם של הנתקפים בירושלים לנתקפים בעת הפוגרומים ברוסיה**» (**עמ'**258) (كيف كان رد فعل المهَاجَمين في القدس والمهَاجَمين في

المذابح في روسيا؟). وهذه المساواة والمقارنة بين الحدثين تنطوي على مغالطة تاريخية، فهو حق أريد به باطل. فاليهود اعتدى عليهم الروس لأنهم اعتبروا أن أحدهم مسؤول عن مقتل القيصر الروسي من ناحية وما آلت إليه أحوال روسيا اقتصادياً من ناحية أخرى. أما مقاومة العرب فهي مقاومة محتل يحتل أرضهم ويستولي عليها ويعتبر نفسه السيد عليها. فهي مقارنة غير عادلة لا تقوم فقط على أسس غير متوازنة بل على أسس عكسية ومتناقضة.

البعد القومي

تكشف الكتب الدراسية في إسرائيل عن مزج وخلط الحقائق التاريخية والجغرافية بالأساطير التوراتية والأهداف الصهيونية، بغية تكوين مفاهيم في وجدان الطلاب اليهود تخدم التوجهات اليهودية والصهيونية، مع تجاهل تام للتاريخ العربي والإسلامي.

فمن الملاحظ أن هذه المناهج تسعى سعياً حثيثاً نحو البحث عن أطر إقليمية بديلة عن الإطار العربي، فتتحدث عن إطارين محددين يمكن أن يسعا داخلهما إسرائيل وهما: دول البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، ليضما داخلهما دولاً غير عربية، ويكون لها فيهما موطئ قدم. ويمكن لهذين الإطارين استبعاد بعض الدول العربية، ولكن هذا ليس مهماً طالما أنهما يتسعان لإسرائيل.

ففي كتاب (**מפות מגלות עולם, חוברת פעילויות**، 1999 خرائط تكشف العالم، كراس الأنشطة، 1999م) في الصفحة 74 تحت عنوان «خرائط تحمل موضوعات للشرق الأوسط» تم إدراج دول العالم العربي في

آسيا العربية وأفريقيا العربية تحت مسمى «الشرق الأوسط» وليس وفقاً لمسمى الدول العربية في شمال أفريقيا وآسيا. فقد أُدرجت دول (المملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان والكويت والعراق والأردن وسوريا وإسرائيل (بهدف ضمها إلى هذه المنظومة الشرق أوسطية) ومعها تركيا وإيران ومصر وقبرص لوضعها في إطار الإقليم الجغرافي «الشرق الأوسط». فقد أورد الكتاب: «**המזרח התיכון הוא אזור המשתרע ברובו ביבשת אסיה ובחלקו ביבשת אפריקה. באזור הזה שוכנת מדינת ישראל**» (**עמ**،74). (الشرق الأوسط منطقة تمتد في معظمها في قارة آسيا وهناك جزء منها في قارة أفريقيا. وتقع دولة إسرائيل في هذه المنطقة). كما نجد في صفحة 76 وتحت عنوان «خريطة الصحاري» خريطة للصحاري العربية في دول آسيا العربية ومصر وفي إيران قد وضعت تحت عنوان «الصحاري في الشرق الأوسط» دون أن يذكر الكتاب المسميات والتضاريس الطبيعية والجغرافية المتداولة والمعروفة منذ آلاف السنين، فيقول: «**במזרח התיכון יש שטחי מדבר גדולים ורחבים**» (**עמ**،67). (يوجد في الشرق الأوسط مناطق صحراوية كبيرة شاسعة). وهكذا كان إطار الشرق الأوسط إطاراً يمكن أن يضم إسرائيل جنباً إلى جنب مع الدول العربية.

ويبرز الإطار الثاني، وهو إطار دول البحر الأبيض المتوسط، في عنوان كتاب (**ארצות הים התחכון**، 1994م أقطار البحر الأبيض المتوسط، 1994) ليتم التركيز على مصر واليونان وإيطاليا وأسبانيا وتركيا ودول المغرب. ومن الملاحظ في هذا الكتاب الاهتمام الزائد بتركيا، باعتبارها إحدى الدول المحورية في منظومة دول الشرق الأوسط. ويأتي

هذا من أجل فرض هذا المصطلح الذي تسعى إسرائيل إلى ترويجه سواءً بالنسبة للدول العربية في قارتي آسيا وأفريقيا أو بالنسبة للدول الإسلامية وحتى الدول الأوروبية، فنجد في صفحة 196 نصاً تحت عنوان «تركيا في الشرق الأوسط»: «**למדנו כי תורכיה משתייכת גם לאסיה וגם לאירופה, ובנוסף לכך שייכת תורכיה לעוד קבוצה מדינות: תורכיה היא אחת ממדינות המזרח התיכון. המדינות האחרות באזור זה הן אלו: ישראל, לבנון, סוריה, ירדן, מצרים, עירק, אירן (פרס) ומדינות חצי האי ערב**» (**עמ**،196). (لقد درسنا أن تركيا تنتمي لأوروبا ولآسيا أيضاً، فضلاً عن أن تركيا تنتمي لمجموعات إقليمية أخرى من الدول: فتركيا إحدى دول الشرق الأوسط. والدول الأخرى في هذه المنطقة هي: إسرائيل ولبنان وسوريا والأردن ومصر والعراق وإيران (فارس) ودول شبة الجزيرة العربية).

ويتكرر الأمر ذاته في كتاب (**אטלס לבתי-ספר יסודיים וחטיבת הביניים** 2001 أطلس للمدارس الابتدائية والإعدادية، 2002م) فلا ذكر ولا إشارة مطلقاً لأسماء دول عربية وإسلامية بصفتها وهويتها القومية والدينية، ولم تنسب هذه الدول إلى مسمياتها الإقليمية القومية وفقاً لما هو متعارف عليه عالمياً – كالوطن العربي – دول آسيا العربية، ودول أفريقيا العربية، والمغرب العربي وما إلى ذلك، بل استبدلت أسماؤها الإقليمية الدولية بأسماء غير متفق عليها جغرافياً وطوبوغرافياً وإقليمياً، فمثلاً أطلق اسم حوض النيل «**אגן הנילוס**» (**עמ**، 29) على جمهوريتي مصر والسودان (ص:29)، وتم خلط دول آسيا العربية بدول أفريقيا العربية من قِبل تجاهل انتمائها القومي

العربي، لتدخل في حيز إقليمي جغرافي تشغله مجموعة من الدول منذ ما يزيد على 1400 عام من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي من خلال إطلاق تسمية إقليمية جديدة تحمل طابعاً سياسياً استعمارياً هو إقليم الشرق الأوسط «**המזרח התיכון**» (**עמ'28**) تغييباً متعمداً للهوية العربية.

وكذلك في الصفحات 31، 32، 33 وضعت هذه الأقطار العربية في شقيها الآسيوي والأفريقي ضمن مسمى الشرق الأوسط دون أي اعتبار لاسم القارة «**המזרח התיכון – אקלים**» (**עמ'31**)، «**המזרח התיכון - משקעים – אגני ניקוז**» (**עמ'32**)، «**המזרח התיכון – אוכלוסין**» (**עמ'33**).

وتستخدم بعض الكتب الدراسية هذه المسميات الحديثة - مثل الشرق الأوسط – عند تناول أحداث تاريخية قديمة وقعت قبل أن تظهر هذه المسميات بقرون عدة. ففي كتاب (سلسلة أدوات، وسائل للنجاح، الكراس الأول، فهم المقروء والتعبير)، في الصفحة 31 رسمت خريطة رحلة سيدنا إبراهيم الخليل انطلاقاً من أور الكلدانية إلى حاران والنزول في أرض كنعان. وقد أعطى الكتاب وصفاً جغرافياً لهذه الخريطة وهو أقطار الشرق الأوسط حيث لم يكن هذا التعبير مستخدماً مطلقاً في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

البعد الصهيوني

عكست المناهج الدراسية في إسرائيل حرصها على وضع خريطة جديدة لفلسطين وأطالس مختلفة تثبت بدورها يهودية المكان والزمان،

من خلال إبراز الأماكن والمدن والقرى القديمة بأسمائها اليهودية التوراتية، وإلباس أسماء يهودية للمدن والقرى الحديثة. كما باتت هذه المناهج تؤكد على ضرورة ومدى أهمية استبعاد الإنسان العربي من تاريخ فلسطين، والادعاء بالوجود الدائم والمتواصل لليهود في فلسطين.

وفي أطر القيم الصهيونية تحرّض مناهج التعليم على قتل الآخر وتربط ذلك بالنصوص الدينية، والأمثلة التاريخية، وفتاوى الحاخامات؛ حتى تحول القتل إلى عبادة، ثم يُطبَّق ذلك كله على أرض الواقع، فتمخض عن ذلك جيل عسكري لا يؤمن إلا باليهود وخصوصيتهم (شعب الله المختار) و(أرض الميعاد) و(بناء الهيكل) و(المسيحانية التي تعني ظهور المسيح اليهودي المخلص)، إضافة إلى المحافظة على روح الكراهية اليهودية للأمم والمجتمعات الأخرى، وتضخيم معاناتهم، واحتكارهم للألم والتفوق والوحدة والتشتت، مع ما يعضد ذلك من وجود إله خاص بهم مدجج بالسلاح، يسره منظر الدماء.

ومن البديهيات المترتبة على ذلك أن تكون مناهج التعليم الإسرائيلية متحيزة ضد الآخر ما دامت تتحدث عن المستوطنات والهجرة و«أرض الأجداد» والقدس والحدود الآمنة و«قانون العودة» و«الحق التاريخي» و«إسرائيل الكبرى»، وتقديم الحرب على أنها ضرورة حتمية للمحافظة على اليهودية واليهود.

لذا كان التعليم الصهيوني الديني فيما يطرحه في عقول التلاميذ اليهود الناشئين بعيداً كل البعد عن القيم الإنسانية الشاملة، وعن لغة الخير والحوار والمحبة. فالفلسطينيون في نظر الطفل اليهودي - من

خلال التعليم ونتائج الاستبيانات- أشرار متعطشون للدماء، يفضلون أن يموت أطفال اليهود بالإيدز، يحرقون الغابات ويجرحون الأطفال بالحجارة. ومما يعضد ادعاءاتهم التاريخية أن الموضوعات المقررة تمس العلاقة بين اليهود والآخرين على أرض الواقع، مع قناعتهم بأن (إسرائيل مولود لاهوتي ناشئ عن المرويات التوراتية)، وأن «الشعب اليهودي» لم يولد ولادة طبيعية، أي: لم تكن هناك مشاركة وتفاعل بين عامل الجنس والأرض، بل بتفاعل التوراة والعهد الإلهي، وأن «دولة إسرائيل اليهودية» إنما توجد بسبب فضيلة دعمهم للدراسة الدينية، فهذا الدعم هو الذي جعل الرب يقف بجانبهم وجعل إسرائيل تنتصر في حروبها. ويمكن تحديد القيم الصهيونية على النحو الآتي:

وحدة الجماعات اليهودية

حاولت بعض المناهج الدراسية التأكيد على أن اليهود في العالم يشكلون وحدة واحدة مهما تعددت أماكن إقامتهم. فنجد كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، 1971م) يكرر عبارات تؤكد على وحدة الجماعات اليهودية في مختلف أنحاء العالم القديم، وهو مفهوم معاصر تحاول الصهيونية ترسيخه دون أي اعتبار للمكان والزمان واللغة. وتطلق عليه «وحدة الشعب اليهودي»، فنجد تعبيرات مثل: «أمتنا» (ص7)، و«آباؤنا» (ص10)، و«أرضنا» (ص14)، و«أبناء إسرائيل» (ص23)، و«أسباط إسرائيل» (ص45)، و«أبناء يعقوب» (ص94)، و«أصحاب الدين الواحد» (ص52)، و«أبناء شعب واحد» (ص88)،

و«الشعب اليهودي» (ص103)، و«الأمة الإسرائيلية» (ص243)،. ولقد كان هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية التي حرص الكتاب على التأكيد عليها من البداية، فأفرد أول عنوان جانبي في المقدمة لهذا المفهوم بعنوان «أسباط إسرائيل شعب واحد» (ص7).

التأكيد على أحقية اليهود فيما يسمى «أرض إسرائيل»

وظفت المناهج الدراسية في إسرائيل أساطير وخرافات، من دون تقديم وثائق على صحة الادعاءات، في محاولة لترسيخ وزرع أحقية اليهود فيما يسمى «أرض إسرائيل» (فلسطين). وقد كرسوا جهدهم في تكوين صورة نمطية لدى الناشئة اليهود على أحقيتهم فيما يسمى «أرض إسرائيل»، وذلك من خلال التكرار، لإيجاد مفهوم وجداني يعمل على الربط بين «الذات اليهودية» و«أرض الميعاد».

فقد أورد كتاب (خرائط تكشف العالم، كراس أنشطة تطبيقي وعملي 1999م) في الصفحة 86 و113 مجموعة من التشكيلات التضاريسية وتعريفها. وفي الصفحتين 104 و105 تطبيق هذه التشكيلات على إسرائيل تحت مسمى «**המפה הפיזית של ישראל**» (**עמ**،104) « الخريطة الطبيعية لإسرائيل»، وهذه الخريطة تتكون من أربعة قطاعات جغرافية طبيعية تمتد على طولها من الشمال إلى الجنوب:

أ- قطاع ساحل البحر (ص:106) «**רצועת מישור החוף**» (**עמ**، 106).

ب- قطاع الجبال (ص:107). «**רצועת ההרים**» (**עמ**، 107).

ج- قطاع الوديان (ص:108). « **רצועת העמקים**» (**עמ**، 108).

د- قطاع هضبة الجولان وجبل الشيخ (الحرمون)، (ص:109). «**רמת הגולן והחרמון**» (**עמ**، 109).

ولاكتمال عملية الربط، بعد أن تم التعامل معها على أنها حقيقة بديهية من منظور معاصر، يورد كتاب (سلسلة أدوات، وسائل للنجاح، الكراس الأول، فهم المقروء والتعبير)، في الصفحة 31 نموذجاً للتعبير مستمداً من التوراة، على أن يقوم الطالب باتمام الموضوع حتى نهايته: «وقال الرب لإبرام: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريكَ. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. فأخذ أبرام سارا امرأته، ولوطاً ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان» (التكوين 12: 1-5).

وتتم الاستعانة بنصوص توراتية للتأكيد على الفكرة ذاتها. ففي كتاب (قرأتُ، وفهمتُ، وكتبتُ بالاستعانة بوسائل الإيضاح، الكراس الثالث، 2001م)، ورد نص توراتي في الصفحة 61 تحت عنوان «بنو إسرائيل متأهبون لعبور الأردن»: «فأمر يشوع عرفاء الشعب: جوزوا في وسط المحلة وأمروا الشعب قائلين: هيئوا لأنفسكم زاداً لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض التي يعطيكم الرب الهكم». (يشوع 1: 10-12). وهكذا تتأكد فكرة الأرض الموعودة من الناحية الدينية.

ونجد في كتاب (أقطار البحر الأبيض المتوسط، 1994م) في صفحة 54 الارتباط بين اليهود وفلسطين وأحقيتهم فيها التي لا تقبل الجدل والشك «**ארץ ישראל היא ארצם של היהודים. במשך השנים הרבות שהיו היהודים מחוץ לארצם, הם שאפו לשוב אליה ולישבה**» (**עמ**،54). (إن أرض إسرائيل هي بلاد اليهود، وأنهم بقوا خارج البلاد يتطلعون إلى العودة وإعمارها).

وتعرض بعض المناهج الدراسية أعمالا إبداعية - شعرية وقصصية وروائية – تعبر عن هذا الارتباط بالأرض. ففي كتاب (**דרך מלים , ספר ה**، 1995 طريق الكلمات والألفاظ، الكتاب الخامس، 1995) يخصص الكتاب فصلاً بعنوان «**שלום לך ארץ נהדרת**» (**עמ**، 110) «سلام لك أيتها البلد الرائع» (ص110) فيخاطب الشاعر شاؤول تشرنيحوفسكي (أرض إسرائيل) في قصيدة له بعنوان «يا وطني» «**הוי ארצי, מולדתי**»، في صفحة 113 فينسبها له بقوله:

«**הוי ארצי, מולדתי**

...

ארץ, ארץ מורשה» (**עמ**،113)

آه يا بلدي، يا وطني

...

أيتها الأرض، أرض الميراث

وتقدم قصيدة «إلعاد» «**אלעד**» للشاعر أبراهام زيجمان الرؤى الصهيونية في صورة رموز. فالصهاينة هم الذين عمروا المكان وجعلوه أخضر مزدهراً.

ويظهر التأثير الصهيوني والربط القديم بين «الأرض والرب والشعب» في تكرار عبارة «كما كان في السابق»، فنجد في صفحة 111:

«אלעד ירד אל הירדן
הוא ראה הכל פורח
להרדוף אותו הריח
ממש כמו בראשונה

אלעד ירד אל הירדן
הערבה ירוקה כפלים
והנה שקטים המים
ממש כמו בראשונה

אלעד, אלעד יקים הגשר
כמעשה אבות
אלעד, אלעד יקשור הקשר
בין הלבבות

אלעד ירד אל הירדן
לחדש אורחות כקדם,
זקן ונער בם ירדו
ממש כמו בראשונה

אלעד ירד אל הירדן

obeikandi.com

שני מחנות יבר בגשר

ברית תהי לנו וקשר

ממש כמו בראשונה» (עמ׳111)

نزل إلعاد إلى نهر الأردن
فرأى كل شيء فيه مزهراً
لتقابله الرياح
كما كان في السابق

وحينما نزل إلعاد إلى الأردن
شاهد وادي العربا أخضر تماماً
فإذا بالمياه فيه هادئة،
كما كانت في السابق
أما إلعاد، إلعاد فسيقيم الجسر
كما فعل الآباء
أما إلعاد، إلعاد فسيصل الرباط
بين الأفئدة
...
نزل إلعاد إلى نهر الأردن
ليستأنف أنماط حياته كما في السابق
وسينزل فيها العجوز والشاب
بالفعل كما في السابق

obeikandi.com

نزل إلعاد إلى نهر الأردن
لقد ربط بالجسر معسكرين
وسيكون لنا عهد وعلاقة
حقيقية كما كان في السابق

وهكذا تؤكد الكتب الدراسية في الدولة الإسرائيلية على أحقية اليهود فيما يسمى بـ«أرض إسرائيل، الأمر الذي نجده بجلاء في عنوان كتاب (القدس والضفة الغربية، 1994م)، فقد أطلق عليه اسم «يروشلايم يهودا فشومرون» ليعني القدس والضفة الغربية. ويتأكد هذا التكريس للوجود الصهيوني من خلال وضع صورة نجمة داود وإحدى المستوطنات اليهودية التي تحيط بمدينة القدس على غلاف الكتاب، هذا إلى جانب صورة أحد أحياء الشطر الغربي من القدس التي ظهرت فيها بعض المؤسسات اليهودية. وفي الغلاف الخلفي عرض صوراً محددة للمقارنة بين ما اعتبره تخلفاً عربياً يقابله تقدم حضاري يهودي على أُثر احتلال القدس والضفة الغربية مع مخطط تنظيمي لبناء الهيكل الثالث المنتظر وقصور ملوك إسرائيل بهدف الإيحاء بأن كل ما في القدس من تطور وبناءٍ وتراث وتاريخ مرده ومرجعه يهودي مرتبط بالوجود الإسرائيلي عبر التاريخ. وبذلك يتناسى المؤلف بل يتجاهل الحقب التاريخية العربية (الكنعانية واليبوسية) في هذه المدينة منذ 3500 سنة قبل الميلاد.

وفي كتاب (لنكن مواطنين في إسرائيل في دولة يهودية ديموقراطية، 2000م) تتردد بين دفتيه الادعاءات والمزاعم بالتواصل التاريخي لكيانات يهودية تعاقبت على أرض فلسطين التي يطلقون عليها اسم «أرض إسرائيل» توافقاً مع دعواهم وإرهاصاتهم بأن لهم بقايا ثقافات

فوق هذه الأرض العربية التي شغلت فيها الحضارة الإسلامية حيزاً كبيراً على مدى أربعة عشر قرناً.

الارتباط الدائم بـ «أرض إسرائيل»

تحاول بعض المناهج الدراسية في إسرائيل أن تغرس في عقل الطالب أنه رغم ابتعاد اليهود عن فلسطين لقرون طوال، إلا أنها كانت في قلوبهم وعقولهم، فقد ارتبطوا بها دائماً. فقد عرض كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الثالث منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل. (1971م) عن تعلق اليهود في فرنسا بأرض إسرائيل رغم أن الثورة الفرنسية حققت لهم المساواة والإخاء – وفق مبادئها – داخل المجتمع الفرنسي. فمع بداية حملات نابليون بونابرت العسكرية على الشرق، جاء في صفحة 100: «... **نتעוררו תקוות, כי מהצלחתו תצמח טובה לעם ישראל כולו. אמרו, כי בדעתו של נפוליאון לכבוש את ארץ ישראל מידי התורקים, ולמסור אותה לעם היהודי כארץ מולדתו העתיקה. וכאשר חדר נפוליאון ממצרים לארץ ישראל, נפוצו שמועות כי הוא הוציא כרוז ליהודי אסיה ואפריקה להתאסף אל דגלו ולקחת לידם את שלטון על ארץ ישראל. השמועות על כך חדרו גם לירושלים**» (עמ 100).

(داعب اليهود الأمل بأن نجاح نابليون سيأتي بالخير لكل اليهود. فقالوا إن في نية نابليون أن يحتل أرض إسرائيل من أيدي الأتراك، ثم يسلمها للشعب اليهودي باعتبارها وطنهم القديم. وحينما توجه نابليون إلى أرض إسرائيل من مصر انتشرت الشائعات بأنه أصدر منشوراً

ليهود آسيا وأفريقيا لكي يتجمعوا تحت رايته ليتولوا زمام الحكم على أرض إسرائيل. وقد وصلت هذه الشائعات أيضاً إلى القدس. وقد تطلع يهود القدس إلى هذه الأحداث بقلب مفعم بالأمل).

ويؤكد الكتاب في صفحة 88-99 على أن أتباع الحركة الحسيدية ربطوا تقديس التوراة بتقديس أرض إسرائيل: «... **אך יחידים וקבצות מבין החסידים מצאו את דרכם לארץ ישראל. הבעש»ט הכין עצמו כל חייו לעלות לארץ ישראל, אלא שלא עלה בידו. הוא כתב לגיסו שישב בארץ הקודש: «אין אני מתיאש מנסיעה לארץ ישראל, אם יהי רצון השם ולהיות עמך ביחד, אין הזמן מסכים לזה». לאחר מותו של הבעש»ט עלה לארץ ישראל כמה מבני חבורתו וקבוצת חסידים מתלמידי הבעש»ט. מכאן ולהבא חזרו ונתחדשו עליות החסידים לארץ ישראל מדי דור ודור. כי השתוקקו החסידים לקדש את תורתם בקדושת הארץ**» (עמ. 88-90). (تمكن بعض الأفراد والجماعات من الحسيديم من الهجرة إلى أرض إسرائيل. وقد أعد بعشاط نفسه طوال حياته للهجرة إلى أرض إسرائيل، ولكنه لم يتمكن من ذلك. فقد كتب لأحد أقاربه الذي يعيش في الأرض المقدسة: لا ينتابني الإحساس باليأس من السفر إلى أرض إسرائيل. إن شاء الرب سأكون معك هناك، إلا أن الوقت لم يحن بعد». وبعد موت بعشاط هاجر إلى البلاد بعض تلاميذه وعدة جماعات من الحسيديم. ومن الآن وصاعداً تكررت عمليات هجرة الحسيديم إلى أرض إسرائيل من جيل إلى جيل؛ لأن الحسيديم اشتاقوا إلى تقديس توراتهم بتقديس الأرض).

ونجد في الكتاب نفسه في صفحة 190–191 في السياق نفسه: «**אף על פי שהיה ידוע גם בארצות אירופה כי יהודי ארץ ישראל חיים חיי צער, לא נמנעו יחידים מלעזוב את ארצם ולהצטרף לעדתם בארץ ישראל. רבים באו בהיותם זקנים, והם לא בקשו לנפשם לאל להקבר באדמת הארץ הקדושה. צעירים כזקנים הקדישו את חייהם לתורה ולתפילה במקום קדוש. בתי המדרש היו בירושלים שלא פסקו שם למוד התורה כל שעות היום והלילה**» (**עמ**،190–191). (على الرغم من أنه كان معروفاً في الدول الأوروبية أن يهود أرض إسرائيل يعيشون حياة فقر مدقع، فلم يتردد بعض يهود أوروبة في ترك بلدهم لينضموا لجماعتهم في أرض إسرائيل. كثيرون جاءوا مسنين، ولم يريدوا سوى الدفن في الأرض المقدسة. وقد وهب كبار وصغار حياتهم للتوراة والصلاة في هذا المكان المقدس. فالمدارس الدينية في القدس لم تتوقف عن تعليم التوراة ليل نهار).

وفي كتاب (قرأتُ، وفهمتُ، وكتبتُ بوسائل الإيضاح، الكراس الثالث،2001م) يورد المؤلف في الصفحة 40 قطعة مختارة من التوراة بعنوان «جدعون يستعد لمحاربة المديانيين: «فبكر يروبعل، أي جدعون، وكل الشعب الذي معه ونزلوا على عين حرود، وكان جيش الميديانيين شماليهم عند تل مورة في الوادي. وقال الرب لجدعون: إن الشعب الذي معك كثير علي، لأدفع الميديانيين بيدهم، لئلا يفتخر علي إسرائيل قائلاً: يدي خلصتني. والآن نادِ في آذان الشعب قائلاً: من كان خائفاً ومرتعداً، فليرجع وينصرف بسرعة من جبل جلعاد، فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفاً وبقي عشرة آلاف» (القضاة 7: 1-3). ويشير

الشاهد السابق إلى ما يقصده المؤلف من أن بعض اليهود رفض ترك المكان متمسكين به، ناسياً أو متناسياً أن العدد الأكبر قد ترك المكان.

ونجد في كتاب (القدس والضفة الغربية، 1994م) الحرص على إثبات التواصل اليهودي الدائم بأرض إسرائيل والتعلق بها. فقد ورد في صفحة 22 ما يفيد ذلك: «**הכותל המערבי, שריד של קיר התמך עליו עמדה חומת הר- הבית מתקופה זו, הפך לסמל ולמשאת- נפש חיהודי הארץ והעולם. אליו עלו לרגל במשך כל הדורות. ביכו לידו את החורבן וביטאו את כמיהתם לגאולת העם הארץ**» (**עמ'22**) (الحائط الغربي، من أطلال الجدار الرئيس الذي يرتكز عليه سور جبل الهيكل منذ تلك الحقبة. حيث تحول إلى رمز يتوق إليه يهود البلاد والعالم. فإليه حجوا على مدى أجيال. بكوا بجواره على الخراب وعبّروا عن شوقهم لخلاص الشعب والبلاد).

استمرار الوجود اليهودي في أرض إسرائيل

واستمراراً لهذا الوجود في العصر الحديث نجد (في سلسلة أشكوليت، مناهج تعليم اللغة وفهم المقروء: بين الفواصل وعلامات الوقف، 1993م) في الصفحة 16 تحت باب (نشاط 2) وبعنوان (لغز للتعرف على البلاد). ورد نموذجان، الأول: «**הרבה תלאות עברו על פתח-תקווה, המושבה הראשונה בארץ, עד שהיא הפכה לעיר גדולה ופורחת**» (**עמ'16**) (واجهت مستوطنة بيتح تكفا مصاعب كثيرة، وهي المستوطنة الأولى في البلاد إلى أن أصبحت مدينة كبيرة ومزدهرة). والنموذج الثاني: «**קריית שמונה נקראת כך על שם יוסף טרומפלדור ושבעת חבריו, שנפלו בקרב על תל-חי**

הסמוכה» (**עמ**، 16) (دعيت كريات شمونيه بهذا الاسم على اسم يوسف ترومبلدور ورفاقه السبعة الذين سقطوا في معركة دفاع عن تل حاي المجاورة).

ونجد الأمر ذاته في كتاب (القدس والضفة الغربية، 1994م) فنجد الحديث عن القدس اليهودية منذ التاريخ اليهودي القديم، للتأكيد على أن الوجود اليهودي في هذه البلاد متواصل ومستمر ولم ينقطع. «**קדושתה של ירושלים עתיקה היא. אני למדים עליה בכתובים מימי מלכיצדק, בן זמנו של אבינו אברהם? מסורת זו נמשכת מאז והיא נשמרה עד היום**» (**עמ**،21) (قدسية أورشاليم قديمة جداً، ونحن نعرفها في مخطوطات منذ عهد ملكيصادق، الذي كان معاصرا لإبراهيم أبينا. وهذا التراث استمر منذ ذلك التاريخ حتى الآن). ويستطرد الكاتب في هذه النقطة في صفحة 21 قائلا: (حولها الملك داود إلى مركز ديني وعاصمة لسائر أسباط بني اسرائيل. أقام ابنه سليمان فيها الهيكل المقدس. ومنذ أن دمر الهيكل الأول عاد المسبيون من بابل إلى البلاد وأقاموا فيها الهيكل الثاني).

وفي السياق ذاته يشير كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، 1971م) في صفحة 264 إلى أن المسبيين فى بابل شعروا بالغربة عن وطنهم الأصلي «أرض إسرائيل»، على الرغم مما (أتيح لهم من حياة كريمة وحرية العبادة فسمح لهم ببناء معابد خاصة بهم. فبدءوا في بناء منازل لهم ولم تفرض عليهم السلطات البابلية مكاناً محدداً يقيمون فيه، فأقام بعضهم في بابل وأقام بعضهم الآخر في المدن

المطلة على نهري دجلة والفرات. كما عملوا في التجارة وحققوا ثروات طائلة، وحافظوا على استخدام العبرية في حياتهم الداخلية رغم تعلمهم الآرامية للتحدث بها في حياتهم العامة. ومع ذلك لم ينقطع حنينهم وشوقهم إلى أرض إسرائيل، أرض الآباء) (ص18). من هنا يطلق عليها الكتاب في موضع آخر «أرض شوقهم» (ص23)، كما يطلق عليها «أرضنا» (ص12)، و«بنو إسرائيل وأرضهم» (ص254). ولا يكتفي المؤلفان بالرجوع إلى التاريخ وإنما يوردان مقولات لرجال الدين اليهودي في المشنا تؤكد ارتباط اليهود بأرض إسرائيل وهم خارجها «من يقيم فى أرض إسرائيل ويقرأ فيها صلاة الشماع (وهي صلاة التوحيد عند اليهود) فى الفجر والمغرب ويتحدث باللغة المقدسة، سيحيى الحياة الأخروية (توسفتا: براخوت:5)» (ص235). ويستطرد المؤلفان فى الحديث عن الموضوع نفسه فى معرض حديثهما عن أحوال اليهود المنفيين في بابل نفياً اختيارياً «على الرغم من أنهم أحبوا البلاد التي أتاحت لهم أن يعيشوا فيها لأجيال عدة، فلم يغيروا أرض وطنهم ببلد أجنبي؛ لأن ذكرى أرض إسرائيل لم تتمح من قلوبهم. فقد كانت في نظرهم موطنهم الحقيقي وأمّلوا أن يعودوا إليها بحلول الموعد. فقد حافظوا على أيام الصوم التي تحددت بمناسبات خراب الهيكلين الأول والثاني» (ص266). ولكي يؤكد المؤلفان على هذا البعد الصهيوني يشيران إلى أن «كثيراً من الآباء الذين لم يتمكنوا من السفر إلى أرض إسرائيل في حياتهم أوصوا أبناءهم أن ينقلوا رفاتهم إلى أرض إسرائيل. فلقد آمن أبناء بابل أنه لا راحة أبدية لليهودي إلا في أرض إسرائيل» (ص269).

الإحساس اليهودي بالتفوق والتميز

كشفت بعض المناهج الدراسية في إسرائيل عن حرصها على غرس فكرة تفوق اليهود وتميزهم. وقد أخذ هذا النبوغ والتفوق عدة صور منها: أن كتابهم الديني «التوراة» هو نفسه مصدر الإنجيل والقرآن، وأنه لنبوغهم لجأ إليهم المسلمون لإدارة شؤون دولتهم وغير ذلك.

نجد هذه الفكرة واضحة في كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصر الحديث، 1997م) في صفحة 32-33 «**לניהול האימפריה נעזרו הח.ליפים בנתיניהם היהודים והנוצרים. יהודים ונוצרים ידעו קרוא וכתוב, והכובשים הערבים סמכו על נאמנותם והפקידו בידיהם תפקידי מנהל רבים. פקידים אלה ניהלו את ענייני האימפריה בלשון המקום שבו התגוררו: יוונית בדמשק שבסוריה, ופרסית בעיראק ופרס**» (עמ، 32-33) (استعان الخلفاء برعايا الإمبراطورية من اليهود والنصارى. كان اليهود والنصارى يعرفون القراءة والكتابة، فاعتمد المحتلون المسلمون على إخلاصهم وأوكلوا إليهم أعمالاً إدارية عديدة. أدار هؤلاء الموظفون شؤون الإمبراطورية بلغة المكان الذي قطنوا فيه: اليونانية في دمشق في سوريا، والفارسية في العراق وفارس). وهكذا كان تميز اليهود وتفوقهم سبباً في استعانة الخلفاء بهم لإدارة شؤون الدولة الإسلامية.

ولتبرير السيطرة على الأراضي العربية وبأن المستوطنين اليهود أجدر باستخدام الأرض واستغلالها على نحو أفضل من أصحابها، أوردت المؤلفة للمقارنة عن طريق الصور الجوية لتثبت أن تنظيم مستوطنة كيبوتس أفضل من تنظيم القرية العربية. وقد أفردت المؤلفة ثماني

صفحات تقريباً من ص140 إلى ص148 لهذه المقارنة لتوحي للطالب اليهودي أن القرية العربية خربة وغير منظمة مقابل مستوطنة كيبوتس اليهودية التي بنيت وفقاً لمخططات توضع قبل بنائها. كما تطرقت المؤلفة إلى استخدام المياه متهمة المواطنين العرب بسوء استخدام المياه واقتصار ذلك على مياه الشرب والغسيل بينما المستوطن اليهودي يستعملها في المشاريع الزراعية واستصلاح الأراضي وما إلى ذلك.

ويشير كتاب اليهود (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود. (1971م) إلى أن شعور اليهود بالتفوق والتميز يضرب بجذوره في التاريخ القديم. ويرُدّ هذا الشعور بالتفوق والتميز إلى خصوصية علاقتهم بالرب وارتباطهم بالتوراة. ظهر هذا الإحساس في أثناء وجود اليهود في بابل، ونبع شعورهم من أنهم موحدون والبابليون وثنيون (ص18)، على الرغم من أنهم من «أصغر الشعوب» (ص19). ونجد في موضع آخر من الكتاب «اليهود يختلفون عن كل الأغيار. فلم يعبد اليهود القيصر كما عبدته بقية الشعوب. ففي الأماكن التي اختلط فيها اليهود بالأغيار تبين للأغيار أن اليهود يتميزون في نمط حياتهم بالمقارنة بنمط حياة الأغيار. كما أن إيمانهم بالرب مختلف عن إيمان الأغيار بربهم. فعلى الرغم من الاختلاط بين اليهود الأغيار في الإسكندرية في مصر وقيصرياً في فلسطين وبعض المدن في سورية إلا أن اليهود لم يتعلموا السير على دروب الأغيار. فقد حافظوا على أعيادهم الخاصة ولم يأكلوا من ذبائح الأغيار ولم يتزوجوا منهم» (ص178).

ومازالت الصهيونية تردد أفكاراً من هذا القبيل. وما زال الصهاينة يرددون زعمهم بالتفوق والعبقرية، مسقطين هذا الزعم على الدولة الصهيونية بأنها نور الأمم، وواحة الديموقراطية الغربية، ورائد العالم الثالث. وعلى مستوى الأفراد لا يزالون في إسرائيل، وفي الأوساط الصهيونية، يتحدثون عن ذكاء اليهود، وعن النسبة غير العادية من اليهود الحاصلين على جوائز نوبل، باعتبار أن هذه الصفات الإيجابية نابعة من الخصوصية اليهودية

اعتزال المجتمعات الأخرى

كشفت بعض المناهج الدراسية عن خصوصية اليهود، الأمر الذي يستدعي أن يكونوا منعزلين عن الآخرين؛ لأن الاقتراب من الآخرين يعد مفسدة لهم والابتعاد عنهم منفعة وعصمة لهم.

فقد جاء في كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، (1971م) في صفحة 18 عن أول سبي لليهود، وهو السبي البابلي، ورغم الترحاب بهم وحرية العمل والعبادة إلا أنهم «فضلوا العيش متجاورين بمعزل عن البابليين. وقد أتاح لهم هذا الانعزال الحفاظ على الاحتفال بيوم السبت والأعياد». وفى فلسطين، بعد العودة من السبي، «كان اختلاط اليهود بالأغيار سبباً لفسادهم وابتعادهم عن دينهم والطريق المستقيم، بعدما تزوجوا منهم، وبعدما صارت لغتهم خليطا بين العبرية والأشدودية» (ص29). ولكي تعاد الأمور إلى نصابها الصحيح لا بد من اعتزال بني إسرائيل للمجتمعات الأخرى. وكان أول إجراء لتحقيق هذا

الاعتزال هو فك الارتباط بين اليهود والأخيار، وقد تمثل هذا في تطليق الزوجات الأجنبيات اللاتي تزوجهن اليهود والتعهد بعدم الزواج من أجنبيات، فكان هذا بمثابة تطهير من الآثام (ص29-30). وهكذا تم الربط في هذا الكتاب بين الاختلاط بالأغيار والانهيار المادي والأخلاقي لليهود واعتزالهم يعني الازدهار المادي والأخلاقي.

الأغيار وعداؤهم لليهود

تقدم بعض المناهج الدراسية علاقات اليهود بالأغيار على أنها سلسلة من مظاهر الكراهية والعداء لليهود بدءاً من السبي البابلي ودمار الهيكل الأول، مروراً بالمواجهات مع اليونان، وانتهاءً بخراب الهيكل الثاني والسبي الروماني.

ويعدد كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، (1971م) بعض مظاهر هذا العداء بقوله «فبدلاً من التعلم من اليهود، نهض الأغيار ليصبوا كراهيتهم عليهم لإيمانهم الطاهر ونمط حياتهم الخاص. وهكذا انتشرت كراهية اليهود بين الأغيار» (ص178-179). ويتأكد هذا التصور اليهودي إذا عرفنا أن اليهود ربطوا أعيادهم الدينية بما يعدونه اضطهاد الأغيار لهم. فعيد الفصح مرتبط بخروج اليهود من مصر، أرض العبودية والذل، ويوم التاسع من آب يوم حريق الهيكل، ويوم العاشر من كانون بدأ فيه حصار القدس على يد نبوخذ نصر، ويوم التاسع من تموز احترقت فيه أسوار القدس، ويوم الثالث من تشرين يوم مقتل الملك جدلياهو (ص18).

واليهود – كما يقدمهم الكتاب نفسه – يُواجَهون بالعداء والكراهية رغم ميلهم للسلام «فهم لم يستطيعوا مواجهة مضطهديهم من اليونان لأنهم غير مدربين على الحرب من ناحية، وأنهم يعيشون على أرضهم بسلام من ناحية أخرى» (ص95). ويستشهد الكتاب بفقرات من العهد القديم تعرض ما يَعُدّه اليهود عداءً وكراهية من قبل الأغيار «يقول تجمع اليهود أمام الرب تبارك وتعالى: يا رب في الماضي كنت تنير لي طريقي بين ليلة وأخرى، بين ليل مصر إلى ليل بابل، بين ليل بابل إلى ليل ماداي، بين ليل ماداي إلى ليل اليونان، بين ليل اليونان إلى ليل أدوم» (ص247).

وتردد الكتابات الصهيونية أن اليهود هم دائماً الضحية وأنه قد تم طردهم من بلد لآخر واضطهادهم دون سبب واضح ودون رحمة أو شفقة. بل يحاول الصهاينة في كثير من الأحيان تضخيم دور اليهود بوصفهم ضحية بحيث يحتكرون هذا الدور ويبذلون قصارى جهدهم في إنكار هذا الدور على الآخرين. وقد استمر تضخيم دور اليهود بوصفهم ضحية حتى أصبح الشعب اليهودي يعادل المسيح المصلوب في بعض مدارس الفكر الديني اليهودي الحديث. ويحاول الصهاينة توظيف دور اليهود باعتبارهم ضحية في خدمة مشروعهم السياسي الاستعماري، فيطالبون ألمانيا بأن تدفع بلايين الدولارات تعويضاً لليهود عما وقع لهم من مذابح، بل يصبح احتلال فلسطين وطرد سكانها منها مجرد تعويض عما حاق باليهود من أذى على يد النازيين!

ورغم اعتراف بعض المناهج الدراسية بحسن معاملة الخلفاء المسلمين لليهود بأنهم أهل ذمة فإن إحساسهم الدائم بالاضطهاد

جعلهم يقفون على أحداث بعينها والتعامل معها على أنها اضطهاد عربي إسلامي لليهود. فنجد في كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، 1997م) النص التالي في صفحة 34: «**על אף פי שהח.ליפים העניקו ליהודים מעמד של בני חסות. הוטלו עליהם הגבלות משפילות. הגבלות אלה מיוחסות לח.ליף עומר השני** (717–720) **והן מכונות חוקי עומר**. (على الرغم من أن الخلفاء منحوا اليهود والنصارى مكانة الرعايا فقد فرضوا عليهم قيوداً مهينة. وتنسب هذه القيود إلى الخليفة عمر الثاني (717–720م) ويطلق عليها قوانين عمر.

وجاء كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الثالث منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) ليقدم تاريخ الجماعات اليهودية في العصر الحديث على أنه سلسلة من مظاهر العداء والكراهية الموجهة من الأغيار لليهود. فعند الحديث عن النظام السياسي في فرنسا يشير الكتاب إلى تميز اليهود – كدافع لكراهية الأغيار لهم – عن غيرهم بقوله: «**ורק היהודים היו עוד נחשבים כמעמד בפני עצמו במדינה. אולם עוד נראה שגם היחס ליהודים נשתנה בתקופה זו וברלין, עיר הבירה של פרוסיה, היתה המקום הראשון שבו היו יהודים ולא יהודים באים במגע מתוך קרוב הדעת**» (עמ،13). (يمثل اليهود فقط طبقة مستقلة في الدولة إلا أن العلاقة باليهود قد تغيرت في هذه المدة. وكانت برلين، عاصمة بروسيا، هي المكان الأول الذي شهد اختلاطا بين اليهود وغير اليهود نتيجة التقارب في الرأي).

وبعد أن يتحدث الكتاب عن تغير في معاملة المجتمع الأوروبي لليهود نتيجة المساواة التي حققتها الثورة الفرنسية بين مواطني الدولة الفرنسية، دونما اعتبار لديانتهم، نجده يورد في أول فصل يتحدث فيه عن اليهود في صفحة 72 ما كتبه أحد البولنديين في مذكراته عن معاملته لليهود «**אתמול צויתי לאסור בכבלים את החוכר היהודי, שלא סלק לזמן הפרעון את חובו ולכלוא אותו בדיר-חזירים. את בנו הקטן לקחתי לביתי וצויתי שילמדוהו את עקרי דתנו. הילד אליעזר הוא בעל כשרונות ויש בדעתי להטבילו. בתחילה לא אבה להצטלב, אך נענש במלקות והיום כבר אכל בשר חזיר**» (**עמ'**72) (أمرت بالأمس بتقييد المستأجر اليهودي بالحبال؛ لأنه لم يسدد منذ مدة طويلة الدَّين الذي عليه، كما أمرت بحبسه في حظيرة الخنازير. وأخذت ابنه الصغير وأمرت أن يعلموه أسس ديننا. كان الطفل اليعيزر موهوبا. وكنت أنوي تنصيره، رفض أن يتنصر في البداية، ولكنه عوقب بالضرب وأكل لحم الخنزير».

قدم المؤلف من خلال هذا النموذج معاملة الأغيار بوصفهم أفراداً لليهود، ثم ينتقل للحديث عن المعاملة الجماعية لليهود من خلال تخصيص فصول كاملة عن معاداة الأغيار لليهود. فعند الحديث عن أحوال اليهود في روسيا يشير إلى أن السلطات الروسية حددت أماكن بعينها يقيم فيها اليهود ولا يخرجون منها (ص118)، كما طردتهم من القرى وفرضت عليهم التجنيد الإجباري الذي يستمر العمر كله (ص119)، كما كان المجندون يتعرضون لمحاولات التنصير وإبعادهم عن يهوديتهم (كان الجنود اليهود ينقلون إلى مناطق نائية في روسيا.

وهناك يسلّمون إلى رجال الكنيسة الذين سعوا بدورهم للتأثير عليهم بتغيير دينهم) (ص120). ويخصص الكتاب الفصل السابع عشر لأنواع الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا، فيقتبس جزءاً من مذكرات سيناتور أمريكي كان موجوداً في روسيا في أثناء أحداث عام 1881م، وكأنه يقدم الموقف من رؤية موضوعية للأغيار أنفسهم وليس من رؤية يهودية (لم يُنقذ يهودي واحد في كييف. هناك من ضُرب، وهناك من قذف بالحجارة، والكثيرون منهم قتلوا. كان الخوف مريعاً، فقد رفض موظفو السكك الحديدية تشغيل القطارات التي أراد اليهود أن يهربوا فيها. ووضع النصارى على منازلهم شارة الصليب، أو وضعوا على نوافذهم أيقونة المسيح ليشيروا إلى أن هذا البيت لنصراني وليس ليهودي، وذلك لينقذوا أنفسهم من هجمات الثائرين الغاضبين) (ص129).

ويورد كتاب (طريق الكلمات، الكتاب الخامس، 1995م) قصة بعنوان: «**הרצל**» «هرتسل» للكاتب أوريئيل أوفيك على الصفحات 217-219. قدم فيها الكاتب شخصية تيودور هرتسل الزعيم الصهيوني يعاني من الاضطهاد والعداء من جانب النصارى في الغرب، الأمر الذي جعله يفكر في الصهيونية ويتزعمها ويصبح أبرز قادتها.

خطر إبادة اليهود

على الرغم من أن مفهوم «الإبادة الجماعية» حديث بدأ ظهوره في عام 1946م، حينما أعلنت الأمم المتحدة أن الإبادة الجماعية جريمة يدينها العالم، وعلى الرغم من أن الجمعية العامة أقرت عام 1948م ميثاقاً يقضي بتحريم هذه الإبادة وإنزال أقصى العقوبة على من يرتكبها، وعلى الرغم من أن هذا الميثاق أصبح نافذ المفعول عام 1951م

فإننا سمعناه يتردد في التاريخ القديم بين دفتي كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، 1971م). ففي أثناء وجود اليهود في بابل إبان الحكم الفارسي «كان خطر الإبادة «**סכנת הכלייה**» يحدق حينئذ بكل اليهود الذين يقيمون في دول فارس والميديين. ولكن بموت هامان الشرير الذي فكر في إبادتهم أُنقذ اليهود بمعجزة» (ص38). ويتحدث في موضع آخر عن إبادة حقيقية «تمت في جزيرة قبرص إبادة «**השמדה**» اليهود ولم يبق منهم شخص واحد» (ص222).

ونجد الفكرة ذاتها في كتاب (قرأت، وفهمت، وكتبت، الكراس الثالث، 2001) فقد أورد نصاً في العهد القديم يعضد به هذه الفكرة: «فهم هؤلاء أعداؤك يعجّون ومبغضوك قد رفعوا الرأس. على شعبك مكروا مؤامرة وتشاوروا مع أحميائك. قالوا هلم نبيدهم من بين الشعوب ولا يذكر اسم إسرائيل بعد. لأنهم تآمروا بالقلب معاً. عليك تعاهدوا عهداً. خيام أدوم والإسماعيليين. موآب والهاجريون. جبال وعمون وعماليق، فلسطين مع سكان صور. أشور أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط. افعل بهم كما بمديان، كما بسيسرا كما بيابين في وادي قيشون. بادوا في عين دور. صاروا دمناً للأرض. اجعل شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب» (المزامير 83: 2-12)

ومن السهولة بمكان أن نجد في بعض هذه المناهج ربطا بين المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي وخطر إبادة اليهود. الأمر الذي نلمسه في كتاب (**המאה ה-20 על סף המחר**، (1999) (القرن العشرون على عتبة الغد، 1999م)، ففي صفحة 47: «**ב**-1920 **התנפל**

המון ערבי על יהודים בירושלים, והיו פצועים והרוגים. ב-1921 התפשטו המהומות» (**עמ**، 47) (في عام 1920 هاجم جمهور عربي يهودا في القدس فوقع منهم جرحى وقتلى. وفي عام 1921 امتدت الاضطرابات).

من خلال الاقتباسات السابقة من المناهج الدراسية نجد أنها تتمحور حول خطر إبادة اليهود من جانب الأغيار من قبيل عدائهم لليهود. وتهدف المناهج من طرح هذه الأفكار إلى إثارة الشجون والأحزان لدى اليهود من ناحية، وجعلهم في حالة من الاستعداد والقوة للدفاع عن أنفسهم في حالة وقوع أي خطر عليهم من ناحية أخرى.

حتمية الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين

يتوصل كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) – بعد أن عدّد مظاهر معاداة الأغيار لليهود والمعاداة للسامية والهولوكوست – إلى نتيجة يراها حتمية مفادها ضرورة هجرة اليهود إلى فلسطين حتى يتم تجنب هذه المعاداة بأشكالها العديدة المتنوعة. فنجد الكتاب في صفحة 214 يورد: «**בעיר חרקוב נוסדה החבורה הראשונה של הסטודנטים אשר החליטה לעלות לארץ ישראל, לחונן את עפרה ולהחיות את שממותיה**» (**עמ**، 214) (تأسست في مدينة جركوف الجماعة الأولى من الطلاب الذين قرروا الهجرة إلى أرض إسرائيل ليرحموا ترابها ويحيوا قفارها). ويؤكد الكتاب ذاته في الصفحة ذاتها «**רעיון התחיה הלאומית חכה שורש בלבות הצעירים. שהאמינו**

כי אין לעם ישראל תקוה אלא אם ישובו בניו לארץ אבותיהם, ויעבדו את אדמת הארץ במו ידיהם. הם רצו להיות הראשונים לעליה ולבנין» (שם) (لقد ضربت فكرة الإحياء القومي بجذورها في قلوب الشباب، الذين آمنوا بأنه ليس لشعب إسرائيل أي أمل إلا بعودة أبنائه إلى أرض آبائه، واستصلاح أراضي البلاد بأيديهم. فقد أرادوا أن يكونوا الأوائل في الهجرة والبناء).

مسميات عبرية للبلدان العربية

لوحظ في الكتب التي حُلِّلت عملية عبرنة واضحة لمسميات البلدان العربية في فلسطين، وذلك حتى يتعرف عليها الطالب على أنها عبرية في الأصل وليس لها تسمية أخرى. ولكي تدعم الكتب الدراسية في إسرائيل هذا التوجه نجدها تورد خرائط عليها البلدان بمسميات عبرية.

فعلى سبيل المثال: لا نجد في اللغة العبرية الحديثة كلمة «فلسطين». وهذا يتفق مع التصور اليهودي الصهيوني الذي يرى أن الأرض لا وجود لها إلا بالإشارة إلى اليهود والتاريخ اليهودي. ولهذا فكلما أشار يهودي إلى فلسطين، فإنه إنما يشير إلى «إرتس يسرائيل».

وحتى لا يُحدث اسم فلسطين الذي يتردد الآن لبساً في ذهن التلميذ الذي يعرفها بأنها أرض إسرائيل، يشير كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) في صفحة 228 إلى أن اسم فلسطين اسم أطلقه الرومان على أرض إسرائيل لمحو اسم أرض إسرائيل نكاية في اليهود وانتقاماً منهم: «הרומיים רצו להכחיד את שם ישראל מארצו,

אז ניתן לארצנו השם פלשתינה על שם הפלשתים הקדומים»
(**עמ**، 28) (أراد الرومان محو اسم اليهود من بلادهم لذا أطلقوا اسم فلسطين على أرضنا نسبة إلى البلستيم القدماء).

وتطلق المناهج الدراسية في إسرائيل أسماء عبرية على المدن الفلسطينية بهدف تقديمها في ثوب يهودي. ونجد هذا الأمر واضحاً وجلياً في كتاب (تحولات في جغرافية الشرق الأوسط، (1995م)، حيث يُطلق الكتاب مصطلح (يهودا والسامرة) على الضفة الغربية لإنكار كل التطورات التاريخية التي حدثت منذ أمد بعيد وحتى وقتنا الحاضر لتسويغ عملية ضمها لإسرائيل. ونجد الأمر ذاته في عنوان كتاب «القدس والضفة الغربية»، فنجد الضفة الغربية العربية هي نفسها يهودا والسامرة العبرية.

وينحو كتاب (نظام الحكم في دولة إسرائيل، (1994م) المنحى نفسه فيعبر عن فلسطين في أكثر من موضوع بتعبير «أرض إسرائيل» مثلما في صفحة 83: (في أرض إسرائيل قام الشعب اليهودي، وفيها تشكلت صورته الروحانية والدينية والسياسية، وعاش فيها حياة سيادية مستقلة، وبها أبدع وأنتج ثرواته الثقافية والقومية والإنسانية). ويضيف في صفحة 84: (وقد طالب المجلس المؤقت، سكان أرض إسرائيل أن يتخذوا بأنفسهم كل الخطوات المطلوبة لتنفيذ قرار الأمم المتحدة بقيام إسرائيل). ونجد في الصفحة ذاتها: (أسهم الاستيطان العبري في أرض إسرائيل في أثناء الحرب العالمية الثانية بكل ما يستطيع ليدافع عن حريته تجاه الآثم النازي).

كما نجد هذه المناهج الدراسية تُجمع بشكل تام على تسمية المسجد الأقصى بـ«**הר הבית**» «الهيكل». كما تسمي حائط البراق بـ«**הכותל המערבי**» «الحائط الغربي أو «حائط المبكى» دون أي إشارة إلى علاقة المسلمين بهذا الحائط من قريب أو بعيد، والادعاء أن الحائط الغربي هو الأثر الوحيد الباقي من الهيكل وهو مركز الصلاة في القدس. فيورد كتاب (القدس والضفة الغربية، (1994م) النص الآتي: «**ואילו המוסלמים בנו על הר-הבית את כיפת הסלע ואת מסגד אל-אקצא**» (**עמ**، 23) (حتى المسلمون فقد بنوا على جبل الهيكل قبة الصخرة والمسجد الأقصى).

ولقد تم في كتاب (أطلس للمدارس الابتدائية والإعدادية، 2002م) إبدال أسماء المدن والقرى والأنهار والأودية والجبال والسهول والمناطق العربية بالأسماء العبرية تذرعاً بدعوى الحق التاريخي. فنجد في ص 8-9 خريطة كتب عليها «إسرائيل والأردن»: فالخليل هي حبرون، ونابلس هي شخيم، وبحيرة طبرية هي كنيريت، والبحر الميت هو يام هميلاح. وفي صفحة 12-13 يورد الكتاب خريطة للسامرة وشمال يهودا نجد عليها مسميات عبرية بديلة للمسميات العربية.

الزعم بشراء أراضي «أرض إسرائيل»

تشير بعض المناهج الدراسية إلى أن الصهاينة اشتروا أرض فلسطين من محتليها الفلسطينيين. فيورد كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الأول، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، 1971م) في صفحة 214 أن «**חכמינו עודדו את תושבי הארץ היהודיים לקנות קרקעות מידי הנכרים, כדי שתחזור**

הארץ לרשות יהודית. הם שננו לעם, שלא להתיאש מארץ אחוזתו. כי ,במהרה יבנה בית המקדש, והארץ תשוב להודה ולקדושתה» ((**עמ**، 214) (الحاخامات شجعوا سكان البلاد اليهود على شراء أرض من الأغيار حتى تعود البلاد إلى الحوزة اليهودية. فقد علموا الشعب ألا ييأس من عودته إلى أرضه «سيبنى الهيكل بسرعة» وتعود البلاد إلى كامل بهائها ومجدها).

المشاركة في تحرير الأرض

تستخدم بعض المناهج الدراسية تعبير «تحرير الأرض»، من هنا لم يكن من المستغرب استخدام تعبير «حرب التحرير» «**מלחמת השחרור**» إشارة إلى حرب عام (1948م)، كما يطلقون عليها أيضًا تعبير «**מלחמת העצמאות**» «حرب الاستقلال». من هنا تضفي هذه المناهج مسحة بطولية على التنظيمات العسكرية الصهيونية قبل قيام إسرائيل مثل: «هجانا»، «إيتسيل»، «ليحي» وغيرها.

فنجد في كتاب (القرن العشرون على عتبة الغد، 1999م) في الصفحة 84 النص الآتي إنه «**ב-1939 דוכא המרד הערבי בכוחות משותפים של בריטים ויהודים**» (**עמ**، 84) (في عام 1939م قمع التمرد العربي بقوات مشتركة من البريطانيين واليهود). ونجد في نص آخر في الصفحة ذاتها «**המרד הערבי חודש, בעוד כוחות פשיסטיים ונאציים משלטים על אירופה. הבריטים המשיכו לשתף פעולה עם היהודים נגד הערבים...**» (**שם**) (استمر البريطانيون في التعاون مع اليهود ضد العرب بعد أن استؤنف التمرد

العربي لدى سيطرة الثورات الفاشية والنازية على أوروبا). ونجد في الصفحات الآتية تأكيداً على حقيقة التعاون البريطاني اليهودي لقمع العصيان والثورة العربية في فلسطين. فنجد النص الآتي: «**בסופו של דבר דוכא המרד בכוחות משותפים של הבריטים והיהודים**» (**עמ**، 68). (قمع التمرد العربي في نهاية الأمر بواسطة قوات مشتركة من البريطانيين واليهود).

وتشير صفحة 87 من الكتاب نفسه إلى أنه في نطاق هذا التعاون العسكري لقمع الثورة العربية عملت وحدات يهودية في أجهزة الشرطة البريطانية إلى جانب عمل وحدات مسلحة يهودية مستقلة. وقد تجلى التعاون البريطاني مع القوات العبرية في توفير خبراء عسكريين إنجليز لتدريب الكتائب العبرية على حرب العصابات، ومنهم تشارلز أورد فينجايث الذي درب منظمة «هاجانا» وأنشأ داخلها تنظيمات باسم «الكتائب الليلية».

وحرص كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) على التأكيد على أن اليهود شاركوا مشاركة فاعلة على المستوى العسكري في تحرير أرض إسرائيل من أيدي الأتراك. فبعد أن فشلت الجهود السلمية المتكررة (المستغلة للأزمات الاقتصادية التي مرت بها تركيا) التي بذلها تيودور هرتسل مع السلطان عبد الحميد بأن تتنازل تركيا للصهاينة عن أرض إسرائيل لليهود (ص 277)، شكلوا «**הגידוד העברי**» «الكتيبة العبرية» (ص 29) لتساعد الإنجليز في حربها ضد الأتراك. فنجد في صفحة 153: «**בין חיליו של אלנבי גם הגדוד העברי, שחבריו התנדבו**

לצבא, כדי לקחת בשחרורה של ארץ ישראל מידי התורקים» (حاربت الكتيبة العبرية بين قوات اللنبي، والتي تطوع أفرادها، ليسهموا بشكل فاعل في تحرير أرض إسرائيل من أيدي الأتراك».

ويؤكد الكتاب نفسه في صفحة 174 على أن المتطوعين اليهود وقفوا جنباً إلى جنب مع الجيش الإنجليزي في معاركه سواءً في فلسطين أو خارجها «**בכל המערכות האלה על אזור הים-התיכון נטלו חלק גם מבני הישוב היהודי בתוך הצבא האנגלי**»(**עמ**، 174) (شارك بعض أفراد اليشوف اليهودي الجيش الإنجليزي في كل المعارك التي دارت في منطقة البحر المتوسط).

لكل ما سبق كان من الطبيعي أن يكافأ اليهود على مشاركتهم بعد أن تصبح فلسطين من نصيب الإنجليز «**ובארץ ישראל ניתן השלטון לאנגליה על מנת שתעזור לעם ישראל להקים בה את ביתו הלאומי**» (**עמ**، 159) (فقد أعطيت أرض إسرائيل لإنجلترا شريطة أن تساعد شعب إسرائيل في أن يقيم بها وطنه القومي). ويستشهد الكتاب بمذكرات إحدى الشخصيات الصهيونية للتأكيد على القيمة ذاتها (تشكلت كتيبة المتطوعين العبريين، الذين وضعوا أنفسهم في خدمة سلطات الحكومة البريطانية، للمشاركة في تحرير أرض إسرائيل ... لا يمكن لنا أن نتنازل عن محاربة الأتراك. وأضاف ترومبلدور أنه يجب أن نهزم الأتراك وننتصر عليهم في أي مكان) (ص251). ويستطرد الكتاب في الفكرة ذاتها (رأى صهاينة كثيرون، منهم يوسيف ترومبلدور وزئيف جابوتنسكي أنه لا يجب على شعب إسرائيل أن ينتظر حتى يرى أرض إسرائيل يحتلها الآخرون، بل يجب

على اليهود أنفسهم أن يشكلوا جيشاً يسهم في عملية الاحتلال. أراد ترومبلدور وجابوتنسكي تشكيل جيش يهودي يحاربون تحت رايته، ويعد جيشاً يحارب مع جيوش الحلفاء ضد تركيا) (ص253-254).

البعد السياسي

أهمية القدس والهيكل

يؤكد كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، (1971م) على أهمية القدس والهيكل عند اليهود فى التاريخ القديم، فيشير إلى أن اليهود يحتفلون بالعديد من المناسبات الدينية التي ارتبطت بالأحداث التي مرت على القدس والهيكل. منها: يوم التاسع من آب يوم حريق الهيكل، ويوم العاشر من طبيب الذي بدأ فيه حصار القدس على يد نبوخذنصر، ويوم التاسع من تموز الذي احترقت فيه أسوار القدس (ص18) وغير ذلك. ولما كان الهيكل «**בית חיינו**» «بيت حياتنا» (ص206) فإن «**אלוהים ישלח להם את המלך המשיח אשר נביאי ישראל ניבאו עליו ולא יתן את מקדשו לנפול לידי זרים**» (עמ، 198) (الرب سيرسل مسيحه المخلص، الذي تنبأ به أنبياء إسرائيل، ولن يسمح بسقوط هيكله فى أيدي الأغيار) (ص 198).

ويورد الكتاب استشهادات من العهد القديم والتلمود تؤكد الحزن على الخراب الذي حل بالقدس والهيكل «يقول الحاخامات: إن أي شخص يمارس أي عمل يوم التاسع من آب ولا يحزن على القدس لن يرى فرحتها. ومن يحزن على القدس سيحظى بمشاهدة فرحتها»

(فصل الصوم فى المشنا:5) ويفسر أحد الحاخامات ما جاء في العهد القديم: «وتبكي عيني بكاءً وتذرف الدموع لأنه سبي قطيع الرب» (إرميا 17:13) بأنه «يجب على اليهودي أن يذرف ثلاث دمعات: واحدة على الهيكل الأول، والثانية على الهيكل الثاني، والثالثة على اليهود الذين تشتتوا من موطنهم» (ص187).

ويبالغ الكتاب فيما يسميه دفاع اليهود عن هيكلهم داخل القدس ليعزز ارتباط اليهود بالقدس والهيكل (احترقت قاعات الهيكل الخارجية ولم يبق من المدافعين عنه سوى جثثهم، التي أرادوا بها أن يسدوا الطريق أمام الرومان حتى لا يصلوا إلى داخل الهيكل» (ص206). ويفرد الكتاب عنواناً جانبياً يؤكد فيه حريق الهيكل وخلود اليهود «**המקדש נשרף, אך עם ישראל חי וקים לעולם**» (**עמ**، 206) (احترق الهيكل، ولكن شعب إسرائيل حي خالد) (ص206).

ويؤكد كتاب (تحولات في جغرافية الشرق الأوسط، 1995م) على أهمية القدس والهيكل، فيعرض سرداً تاريخياً للهيكل موضحاً أن الهيكل هو أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين.

أراد كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) تأصيل الأطماع اليهودية والصهيونية في مدينة القدس، ومن ثم إضفاء الشرعية التاريخية والدينية على احتلالهم للمدينة، فيطلب من الطلاب عقد مقارنة بين قدسية مدينة القدس في الإسلام وفي اليهودية والنصرانية: «**קדושת ירושלים באיסלאם לעומת קדושתה ביהדות או בנצרות**» (**עמ**،209) «قدسية القدس في الإسلام مقابل

قدسيتها في اليهودية والنصرانية». وقد أشار الكتاب في صفحة 202 إلى أن مدينة مكة هي أكثر المدن قدسية لدى المسلمين ، وتأتي بعدها المدينة المنورة، أما القدس فإنها اكتسبت قدسيتها عند المسلمين بمرور السنين، وبالتحديد بعد الإسراء والمعراج، وبعد أن بنى المسلمون فيها مسجد قبة الصخرة (مسجد عمر) والمسجد الأقصى. ولم يجد مؤلفو الكتاب حرجاً في أن يعلنوا عن غاياتهم من هذه المقارنات، ما دام القصد صريحاً والهدف واضحاً.

ويزعم كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) في صفحة 31 أن الخليفة عبدالملك قد بنى قبة الصخرة في القدس بديلاً لمكة: «**לקראת סוף המאה ה-17 בנה הח>ליף עבד (א)מלכ בירושלים את מבנה כיפת הסלע (המכונה מסגד עומר). עבד (א)מלכ קיווה שירושלים תחליף את מכה, שהייתה תחת שלטון מתנגדיו, ותהיה מרכז למוסלמים**» (עמ، 31) (وقبيل القرن السابع بنى الخليفة عبد الملك في القدس مبنى قبة الصخرة (المسماة مسجد عمر). وقد أمّل عبدالملك أن تأتي بديلاً لمكة، التي كانت تحت سيطرة معارضيه، ولتكون مركزاً للمسلمين).

ووردت في كتاب (أقطار البحر الأبيض المتوسط، 1994م) الفقرة الآتية في صفحة 54: «**כאשר שב עם ישראל לארצו והוקמה מדינת ישראל, חזרה ירושלים, בירתנו, להיות המרכז החשוב ביותר לעם יהודי כולו. יהודים מן הארץ ומן העולם עולים לרגל לירושלים ומבקרים במקומות הקדושים ליהודים, למשל**

הכותל המערבי» (**עמ**،54) (عندما عاد شعب إسرائيل إلى أرضه وأقيمت دولة إسرائيل، عادت أورشليم، عاصمتنا، لتصبح المركز الأهم للشعب اليهودي بأسره. يحج إليها يهود من البلاد ومن العالم ويزورون الأماكن المقدسة لليهود، مثل الحائط الغربي).

وتحاول بعض المناهج التعليمية في إسرائيل التشكيك في صحة بعض المعتقدات الإسلامية تجاه القدس. فقد ورد في الصفحة 31 (من) كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م). ويقدم معجزة الإسراء والمعراج على أنها حكاية أسطورية: «**בקוראן ירושלים לא נזכרת בשמה, אך מסופר בו שמוחמד טס ממכה, רכוב על בהמת הפלא שלו אלבוראק – שראשו ראש אדם, גופה גוף סוס ולה כנפיים. הוא קשר את אלבוראק לטבעת שהייתה קבועה בכותל המערבי, ומשם עלה להר הבית ולשמים. לכן נקרא הכותל המערבי בפי הערבים, אלבוראק**» (**עמ**،31) (لم ترد القدس في القرآن بالاسم، ولكن يحكى أن محمداً طار من مكة راكباً دابته العجيبة البراق – رأسها رأس إنسان وجسمها جسم حصان ولها جناحان. وقد ربط البراق بسلسلة مثبتة في الحائط الغربي، من هناك صعد إلى جبل الهيكل ثم إلى السماء، لذلك سمي الحائط الغربي عند العرب البراق.)

الفخر باليهود القدماء

تحاول المناهج الإسرائيلية الفخر باليهود القدماء، فيسندون لليهود في كل مكان وزمان، سواءً تحت حكم المسلمين، أو تحت حكم النصارى

وسواءً في الأندلس أو في فلسطين، العلم والمعرفة، وأنهم الأنسب لشؤون الإدارة والمناصب الرفيعة، وأن الشعوب الأخرى لم تتقدم إلا بمعاونتهم ومساعدتهم واستشارتهم.

ورد في كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) في الصفحة 32 وتحت عنوان «مسلمون ويهود ونصارى تحت حكم الخلفاء»: (استعان الخلفاء بالرعايا اليهود والنصارى، لأنهم كانوا يعرفون القراءة والكتابة، الأمر الذي جعل المحتلين العرب يعتمدون عليهم ويعينوهم في وظائف إدارية مهمة». وهذا تجنٍّ على العرب والمسلمين فالواقع يشهد أنهم كانوا يجيدون القراءة والكتابة، وقد برعوا في كتابة الشعر وفنون الكلام.

وفي كتاب (من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ، 1994م) في الصفحة 232 يقول الكتاب: (إن الحكام المسلمين لم يكن لديهم في البداية أي خبرة في إدارة الدولة، لذا اضطروا للاستعانة بخدمات اليهود، فأبقوهم في وظائف مهمة في بلاط الخليفة، وفي إدارة خزانة الدولة. لقد استعان الخلفاء المسلمون باليهود لأنهم أدركوا أن اليهود لا يهددون سلطانهم، وأنهم يعملون فقط لكسب عيشهم. ولم تكن لديهم أطماع في الحكم... وكان اليهود معروفين بأنهم أذكياء ومثقفون وذوو علاقات وثيقة مع إخوانهم في الشتات).

وفي الكتاب نفسه في الصفحة 234 أشار الكاتب إلى ثراء اليهود وأنهم كانوا يقرضون بعض الخلفاء والوزراء: (عندما يحتاج خليفة أو وزير مالاً، كان يتوجه إلى التجار اليهود للاقتراض منهم. وبذلك

أصبح هؤلاء التجار الكبار صرافي بلاط الخليفة). وزعم الكتاب أيضاً أن اليهود أدوا دوراً كبيراً في التجارة العالمية: (كان هناك الكثير من اليهود تجاراً جلبوا بضائع من أماكن بعيدة، الأخشاب والعبيد من أوروبا، والحرير والأقمشة من الشرق الأقصى، والعطور والتوابل من شبة جزيرة العرب. لقد استغلوا علاقاتهم مع إخوانهم ليطوروا التجارة الدولية).

كما يزعم الكتاب في صفحة 264 أن اليهود أدوا دوراً في فتح بلاد الأندلس: «رحب اليهود بقدوم الجيش الإسلامي الذي وضع حداً لسيطرة النصارى المتعصبين في بلادهم. لقد اعتمد قادة الجيش الإسلامي على ولاء اليهود، واستعانوا بهم في استعادة الهدوء والسلام في الأندلس. فلم يكن المسلمون على علم بظروف هذه البلاد، ولا عادات سكانها، ولا لغاتهم، بينما كان اليهود يعرفون جيداً البلاد وسكانها. لذا، عيّن المسلمون اليهود جنود حراسة في المدن المحتلة، وأعطوهم أراضٍ من التي صودرت في الحرب. واستعانوا بهم مديرين للمزارع التي انتقلت إلى سيطرة المحتلين المسلمين بعد الحرب. وعمل يهود آخرون مستشارين سياسيين واقتصاديين للحكام الجدد» (ص 264).

ومضى الكتاب يمجد قدماء اليهود فتحدث عن اليهود الذين تولوا قيادة بعض الجيوش الإسلامية، فذكر شموئيل هناجيد (993م–1056م) الذي كان وزيراً وقائداً لجيوش ملك غرناطة مدة تزيد على ثلاثين عاماً. وأنه أدار شؤون المملكة وخرج على رأس جيشها في الحروب، وحقق انتصارات مهمة (ص 267). وتحدث في صفحة 266 عن إسهامات اليهود في الترجمة، فذكر أن الخليفة عبد الرحمن الثالث

استعان بعدد من المترجمين لكي يترجموا بعض أمهات الكتب الأجنبية إلى العربية، فكان من بين المترجمين عدد من اليهود.

وحرص كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من السبي البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود، (1971م) على غرس الشعور بالفخر باليهود القدماء (الآباء) والاعتزاز بهم في ذهن الطالب. وقد أخذ تحقيق هذا الأمر عدة مظاهر:

أ – اتّساع حدود دولة إسرائيل فى عهد الملك يناي لتصل إلى نقاط حدودية لم تصلها في عهد الملك سليمان الذي يعد أزهى عصور الوجود اليهودي السياسي فى فلسطين. «فقد هزم العرب وضم شرق الأردن إلى يهودا، كما ضم المدن اليونانية في شرق الأردن إلى يهودا، كما ضم كل المدن الساحلية من مصر حتى لبنان عدا عكا وأشكلون. لقد امتدت دولة إسرائيل الآن من مصر حتى لبنان ومن البحر إلى الصحراء» (ص115–116). وفي حقبة متأخرة تمتد هذه الحدود شمالاً لتتجاوز لبنان حتى تصل إلى دمشق في سوريا «تمتد الدولة اليهودية من حدود مصر حتى دمشق ومن البحر إلى الصحراء» (ص167).

ب– تقدير الأغيار وقادتهم لليهود: يذكر المؤلفان في هذا السياق الإسكندر المقدوني: «تحكي أجيال متعاقبة حكايات يتوارثها الأبناء عن الآباء عن اللقاء الأول الذي تم بين اليهود واليونان. فقد خرج الكاهن الأكبر ليستقبل المحتل العظيم على رأس مسيرة مهيبة، وهو يرتدي ملابس الكهانة. حينما شاهد الإسكندر الكاهن الأعظم نزل من عربته وانحنى له. أثار تصرف الإسكندر دهشة قادته العسكريين، فرد عليهم

الإسكندر بأن شخصية الكاهن قد ظهرت له في الحلم ووعدته بقيادته إلى النصر» (ص67-68). وهكذا وضع المؤلفان اليهود واليونان على قدم المساواة في التاريخ القديم، وهذا تشويه لحقائق التاريخ وتحريف لوقائعه لأنها استهدفت إسباغ أهمية على اليهود تتساوى مع أهمية اليونان في التاريخ القديم.

تشويه الشخصية العربية

يحاول كتاب (رحلة إلى الماضي من العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، 1997م) في صفحة 174 تشويه صورة المسلمين بربطهم بأعمال القتل والشغب. فيصفهم بالمشاغبين الذين يقتلون الحكام والمسؤولين ممن لهم الفضل في إدارة الدولة الإسلامية كاليهود. فقد ورد في السياق أنه بعد موت شموئيل هناجيد شغل ابنه يوسف منصبه، ولكن بعد مضي عشرة أعوام «قتل في أعمال شغب أثارها المسلمون في غرناطة بدعوى أن الدولة أصبحت تحكم بأيدي اليهود).

ويستمر الكتاب في توجيه أصابع الاتهام للمسلمين بأنهم يقتلون الأدباء. فقد ورد في صفحة 185: (عندما بلغ الحاخام يهودا هليفي عامه الـ65 قرر الهجرة إلى أرض إسرائيل. وبعد رحلة بحرية شاقة وصل إلى مصر وهناك توفي. وتقول رواية أخرى إنه عندما كان يؤدي الصلاة بجوار الحائط الغربي داهمه فارس عربي وقتله).

وتبدو فلسطين العربية قبل أن يصل إليها الصهاينة في كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، 1971م) مكانا تنتشر فيه السرقة والنهب (فقد

عرّف الحاخام يهودا القلعي الوضع في البلاد وأدرك أن السرقة والنهب أعمال تتم فيها كل يوم) (ص202). فالعربي اليمني يضطهد اليهودي ويذله ويهينه ويتعامل معه بعنف واحتقار (عاش اليهود في اليمن طوال حقبة شتات اليهود، وعانوا من القيود والاضطهادات والإبادة أكثر مما عانى اليهود في أي شتات آخر» (ص245-246). أضف إلى هذا أن الشخصية العربية تهرب في المواجهة مع السوبر يهودي (تعبير يهودي يعني اليهودي النابغة الذي ليس له مثيل) في ساحات القتال وبالتحديد قبيل حرب عام 1948م «لقد واجه الحي اليهودي الأحياء العربية ببطولة، ومع وصول كتائب «بلماح» (هرب العرب وتركوا أحياءهم. دارت معركة كبيرة في حيفا ولكنها سقطت بسرعة في أيدي قوات هجانا). وسيطرت قوات إيتسيل على يافا وأقاموا فيها حكماً عبرياً. وحينما شاهد العرب المدن تسقط في أيدي اليهود بدؤوا يفرون من مواقعهم) (ص 278). ولما كانت الشخصية العربية عدوانية وتميل إلى العنف - كما يراها الكتاب – فقد رفضت يد السلام التي مدتها إسرائيل بعد إقامتها، (كانت حكومة إسرائيل مستعدة للتوقيع على اتفاقية سلام مع الدول العربية ولكنها أصرت على كراهيتها ورفضت الاعتراف بالدولة التي أقيمت على أرض الوطن القديم للشعب الذي عاد إليها بعد شتات دام أجيالاً وأجيالاً) (ص281).

أرض بلا شعب

أوردت بعض المناهج الدراسية والكتابات الصهيونية مقولة «فلسطين أرض بلا شعب»، سواءً أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر. فهي ما زالت أرضاً خاوية على عروشها خربة منذ تركها

اليهود أيام السبي الروماني، لم يقم فيها أحد. ففلسطين العربية تتحول في الفكر الصهيوني إلى إريتس يسرائيل أو صهيون، أي «أرض بلا شعب»؛ ليصبح يهود العالم - في المقابل - أشخاصاً مقتلعين لا وطن لهم فهم «شعب بلا أرض». ويتوقف تاريخ فلسطين كما يتوقف تاريخ يهود العالم. من هنا كان القفر والجدب أول ما واجه المستوطنين الصهاينة الأوائل في فلسطين وكأنها بلا شعب يعيش فيها (هناك من لم يخف أو يذهل من القفر والخراب الذي وجده في أرض الآباء. فقد أدركوا أنهم يعودون إلى أرض ظلت على خرابها آلاف السنين، ولن تؤتي ثمارها إلا لمن يبدي استعداده للموت على أرضها) (ص214). ومع إقامة المستوطنات الصهيونية الأولى – رمز الحضارة والمدنية - على أرض فلسطين وشاهدها هرتسل يعلق الكتاب: (لقد شاهد المستوطنات المنعزلة داخل بحر من القفر والخراب. وعند وصوله إلى القدس وشاهد الخراب الذي فيها، زاده الأمر حزناً على حزن. ولكنه أمّل أن تكون رحلته هذه إلى أرض إسرائيل السبب الرئيس لإحياء البلاد وبنائها) (ص233).

وبالفعل ينجح المستوطنون الصهاينة – كما ورد في الكتاب - في تحويل هذه الصحراء المقفرة إلى جنة غناء وارفة الظلال، وكأنهم الكاشفون لأسرارها، أو أنها أبت أن تكشف عما فيها إلا لمن يعدون أنفسهم أصحابها الأصليين. ففي مجمل حديثهما عن إحدى الشخصيات الصهيونية يقولان: (لقد صحب خطوات المزارعين بإيمان وسعادة؛ لأنهم يحولون صحراء البلاد إلى جنة وارفة الظلال) (ص248).

خلط مفهوم المقاومة بالتطرف

وصف النضال العربي عبر المنظمات العربية المناوئة للاستعمار والمشاريع الصهيونية في الهجرة والاستيطان اليهودي بأنه عمل إرهابي تخريبي من ترتيب العصابات العربية عام 1937 م. كما وصفت الحركات الوطنية العربية في كتاب (القرن العشرون على عتبة الغد) في صفحة 84 بأنها عصابات: (إن العصابات العربية اندفعت تهاجم المستوطنات اليهودية ووحدات الجيش البريطاني فزرعت الموت والدمار). كما وصفت منظمات الجهاد والمقاومة العربية الفلسطينية للمشروع الصهيوني (85 و86) على أنها عصابات عربية إرهابية: (إن هذه المقاومة كانت بمثابة دمج بين العنصرية الحديثة والعناصر الدينية والطائفية. ففي حيفا تشكلت منظمة إرهابية على أيدي الشيخ عز الدين القسام زعيم العصابات العربية الذي صفي بأيدي البريطانيين. ومنظمة حماس اليوم حولته إلى بطل، وأن خلاياها العسكرية تدعى كتائب عز الدين القسام).

وعلى الرغم من أن خلط مفهوم المقاومة بالتطرف والإرهاب مسألة حديثة ظهرت مؤخراً، إلا أنه من السهولة بمكان وضع أيدينا على هذا الخلط بين دفتي هذا الكتاب. فأي مقاومة لنشاط صهيوني على أرض فلسطين تعد إرهاباً أو على الأقل تطرفاً وعنفاً. فنجد في كتاب (تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى الجزء الثالث، منذ الثورة الفرنسية حتى قيام دولة إسرائيل، 1971م): «ظهر من العرب في أرض إسرائيل وخارجها من يعارض أمن أرض إسرائيل كوطن قومي لليهود. فأدرك قادة الصهيونية أنه سيبدأ العمل الحقيقي من الآن، وأدركوا ضخامة

المعوقات التي يمكن أن تظهر أمامهم ... فقد كان من بين العرب من سعد بنصيبه، بأن يرى تحرير شعبه من نير الأتراك. فقد تأسست دول عربية كثيرة بعد سقوط المملكة العثمانية من الخليج الفارسي وحتى البحر المتوسط ... ولكن عرب أرض إسرائيل، الذين شاهدوا أبواب البلاد مفتوحة أمام المهاجرين اليهود، والذين غرر المتطرفون بهم فأثاروا في قلوبهم الرعب بأن اليهود قادمون لطردهم من أرضهم ... ولم تمر سوى سنوات قليلة حتى اضطر اليشوف لمواجهة العمليات الإرهابية لجيرانه العرب. حدثت المواجهة الأولى في شهر مارس عام 1920م حينما هوجم اليشوف بخديعة. وبعد شهر واجه اليهود في المدينة المقدسة اعتداءات العرب» (ص262). ويطلق في موضع آخر على المقاومة الفلسطينية «كراهية المتطرفين العرب» (ص264).

ويورد الكتاب اقتباسا من مذكرات حاييم فايتسمان «تجمع العرب في مسجد عمر، واستمعوا إلى خطب حماسية، وخرجوا في مسيرة غاضبة مليئة بالكراهية والحقد، سارت في الشوارع وهاجمت أي يهودي يقابلها» (ص258). ونجد الكتاب يشير في موضع آخر «في عام 1929م رفع العرب المتطرفون رؤوسهم ... فانقضوا على اليهود والقدس وصفد وأماكن أخرى» (ص266-267). ثم يوجه الكتاب سؤالاً للتلميذ يساوي بين ما حدث لليهود في روسيا وأحداث ثورة البراق الفلسطينية «كيف كان رد فعل المهَاجمِين في القدس والمهَاجمِين في المذابح في روسيا؟» (ص258).

وفي كتاب الكارثة والذكرى يسعى الكاتب جاهداً إلى خلط مفهوم المقاومة والدفاع عن الحق التاريخي بالتطرف والإرهاب ويتجلى ذلك

في الحديث عن مقاومة الفلسطينيين لعدوّين أساسّيين هما الانتداب والاحتلال البريطاني واليشوف اليهودي المسلح المدعوم من العناصر والقوى العسكرية البريطانية المدربة التي تعمل مع القوات الرسمية (ص 145-146).

نظرة عامة على الكتب الدراسية الإسرائيلية

أولا: تطرقت الكتب الدراسية الإسرائيلية إلى صورة الإسلام وأركانه ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) بشكل غير دقيق ومناف للحقيقة، ونسبت الجوانب الإيجابية فيه إلى الدين اليهودي بدعوى أن النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يلتقي ببعض اليهود في مكة أثناء رحلاته إلى الشام، فتأثر بهم وبدينهم. ومثال ذلك ربط بعض أركان الإسلام ببعض الممارسات الدينية في اليهودية. مثل ربط صوم شهر رمضان بصيام يوم الغفران لديهم .

ثانيا: قدمت الكتب الدراسية الإسرائيلية النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) في صورة الشخص الذي يرد له الفضل في «تأسيس الدين الإسلامي»، وكأنه يؤسس أو ينظر أو يؤطر لأيديولوجية أو فكر. فتورد بعض هذه الكتب أنه بعد وفاة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) انتهت مرحلة التنظير وبدأت مرحلة التنظيم. كما تشير إلى أن الخلفاء – «نواب محمد» – هم الذين أرسوا أركان الدين الإسلامي.

ثالثا: تعاملت بعض هذه الكتب مع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بعيدا عن التعظيم الذي يليق ومكانة الأنبياء والرسل. فلم تسبق اسمه بكلمة نبي أو رسول كما لم تعقب اسمه بعبارة «عليه السلام» كما

تورد الكتب العبرية عادة عند الحديث عن الأنبياء. كما نجد بعض هذه الكتب الدراسية تقدم الأحداث المهمة في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في شكل صور، فنجد على سبيل المثال صورة لهجرته، وأخرى لزواجه من خديجة، وثالثة لرجم قريش له بالحجارة ورابعة لرحلة الإسراء والمعراج .

رابعا: أقدمت بعض هذه الكتب على تطبيق مفاهيم وأفكار يهودية على الدين الإسلامي وأركانه. فوضعت مسميات عبرية لمصطلحات ومفاهيم إسلامية. فالقرآن الكريم يطلق عليه ما يطلق على العهد القديم «التوراة المكتوبة». ويطلق على السنة النبوية الشريفة «التوراة الشفهية»، وهي التسمية ذاتها التي تطلق في العبرية على تفاسير رجال الدين اليهودي للعهد القديم.

خامسا: حاولت بعض هذه الكتب الدراسية أن تبدو موضوعية عند تعرضها لبعض القضايا والموضوعات مثل موضوع أهل الذمة ومكانتهم في الإسلام بين المسلمين، ولكنها أخفقت في ذلك. فحينما عرضت فضل الإسلام والمسلمين على اليهود ومنحهم المساواة داخل المجتمع الإسلامي باعتبارهم أهل كتاب وأهل ذمة نجدها تشير إلى أن السبب في ذلك كان حاجة المسلمين إلى علم وخبرة هؤلاء اليهود في إدارة شؤون الدولة الإسلامية المترامية الأطراف. الأمر الذي جعلهم يحظون بهذه المعاملة. كما أنها عند الحديث عن أمور خلافية تتعلق بالعرب والمسلمين لا تورد وجهة النظر العربية والإسلامية، وتكتفي في كثير من الأحيان وفي كثير من القضايا والموضوعات بعرض وجهة نظر غير دقيقة، وغير حقيقية.

سادسا: تجلت عدم موضوعية هذه الكتب الدراسية في ربطها بين الدين الإسلامي والمسلمين من ناحية و«العنف» و«الإرهاب» من ناحية أخرى. فتقدم العرب على أنهم «عدوانيون»، تحركهم «غرائز العنف» بعد أن تمكنت منهم. ومثال ذلك تقدم الكتب الإسرائيلية الفتوحات الإسلامية على أنها «عمليات احتلال» و تنفيس عن غرائز العنف لدى العرب.

سابعا: تقدم هذه الكتب فكرة أن من يقاوم الصهيونية - فكرا وتطبيقا - ومشروعاتها وأطماعها في المنطقة يعد إرهابيا إذا كان عربيا مسلما، وأنه معاد للسامية إذا كان غربيا مسيحيا. من هنا نجد هذه الكتب تخلط كثيرا بين مفهوم المقاومة المشروعة للاحتلال وبين الإرهاب. وتفرد فصولا كاملة عن أعمال المقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني في فلسطين في الثلاثينيات من القرن الماضي. كما نجدها من ناحية أخرى تخصص فصولا عدة لما تسميه «المعاداة للسامية»، حتى لو كان «المعادون» ساميين.

ثامنا: تسمي الكتب الدراسية الجهود الصهيونية والمشروعات الصهيونية وتطبيقها على أرض الواقع «كفاحاً»، و«استقلالاً»، و«تحريراً». وليس أدل على ذلك من تسمية حرب عام 1948م بأنها «حرب التحرير»، و«حرب الاستقلال».

تاسعا: لم تورد هذه الكتب الدراسية أي إشارات أو تلميحات عن أعمال الإرهاب والعنف التي قامت بها العصابات الصهيونية المسلحة – مثل «هجانا»، و«بلماح»، و«ليحي»، و«إيتسيل» - قبل عام 1948م

وبعده. خاصة وأن هذه الجماعات كانت تلقى التأييد والدعم من قادة الصهيونية والوكالة اليهودية. فمذبحة «دير ياسين» مازالت ماثلة في الأذهان. كما نجد أعمالا إرهابية موجهة إلى رموز إسلامية واضحة كالمساجد. فوجدنا منهم من يقدم على حرق المسجد الأقصى، ومنهم الإرهابي باروخ جولدشتاين الذي اغتال بيد آثمة ودم بارد مصلين آمنين بين يدي الله في المسجد الإبراهيمي بالخليل وهم يؤدون صلاة الفجر. هذه الأعمال الإرهابية وغيرها لم نجد لها ذكرا.

عاشرا: لم تشر هذه الكتب الدراسية إلى أجواء التطرف الديني التي باتت تخيم على المجتمع الإسرائيلي وتنذر بمستقبل يصبح فيه هذا المجتمع مفرخة للمتطرفين والإرهابيين، في ظل وجود أحزاب سياسية متطرفة تحضر لهذا الجو وتعد له، من خلال إنشاء شبكات من المدارس التي تبث فيها سمومها وأفكارها المتطرفة. مثل حزب «شاس» وغيره.

هذه هي صورة العرب والمسلمين كما وردت في الكتب الدراسية الإسرائيلية وبصورة دقيقة وموضوعية. استقيناها من نصوص داخل تلك الكتب وبنينا تحليلها على منهجية علمية تتبع في مثل هذه البحوث وذلك رغبة في الوصول إلى بحث يكشف الحقيقة كما هي.

obeikandl.com